بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٦٥

مؤسسة الصحافة والنشر

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد الخامس | مجلة إسلامية شهرية جامعة | المجلد الستون

محرم ١٤٣٦هـ - نوفمبر ٢٠١٤م | November 2014

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

محتويات العدد

العدد الخامس- المجلد الستون – محرم ١٤٣٦هـ- نوفمبر ٢٠١٤م

❖الافتتاحية :

واقع العالم البشري، بين تاريخه القديم والحديث — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

❖التوجيه الإسلامي :

قلب الإنسان في ضوء القرآن الكريم — سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٨

شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية — الدكتور غريب جمعة — ١٥

أساليب الجدل في القرآن الكريم — الأستاذ نعمة الله محمد إدريس الندوي — ٢٥

❖الدعوة الإسلامية :

بائع من إفريقيا : هز أساطين القساوسة وأركان الكنيسة — الأستاذ محمد عبد الكريم الهدوي — ٣٧

المديح النبوي والقصيدة العنبرية للسيد صديق حسن خان الدكتور عبيد الرحمن طيب — ٤٦

❖الفقه الإسلامي :

بعض قضايا فقهية معاصرة حول عقد الاستصناع — الأستاذ مصطفى عبد القدوس الندوي — ٥٦

❖دراسات وأبحاث

الرحلة تاريخها وأدبها عبر العصور — الباحث عطاء الرحمن الأعظمي الندوي — ٦٧

أعلام النساء في الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام — الباحثة: عائشة القدسي القدوائي — ٧٧

صور وأوضاع

الاستهانة بقيمة الكلمة المقروءة والمسموعة مصدر البلاء — الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٦

من كنوز القرآن

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٩

❖إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٦

١-فضيلة الشيخ السيد نفيس أكبر أويس في ذمة الله تعالى ٢- فضيلة الشيخ عبد الحي الفاروقي في ذمة الله تعالى ٣. الشيخ الدكتور محمد رواس قلعجي إلى رحمة الله تعالى ٤- فضيلة الشيخ صفي الله القاسمي في ذمة الله تعالى ٥- السيد أبو بكر الكندلوري إلى رحمة الله تعالى ٦- الشيخ سعيد الدين والد الشيخ صلاح الدين الندوي إلى رحمة الله تعالى ٧-الدكتور كريم الدين الدهلوي في ذمة الله تعالى ٨- الشيخ المقرئ محمد قاسم الانصاري في ذمة الله تعالى ٩ - الشيخ صباح الدين القاسمي إلى رحمة الله تعالى ١٠- السيدة والدة سعادة الشيخ أحمد الرومي إلى رحمةالله تعالى

واقع العالم البشري
بين تاريخه القديم والحديث

أودع الله سبحانه وتعالى في طبيعة كل إنسان أن يعيش في الدنيا حياة سعادة وهناء، فيبذل جهده على هذه النقطة بما ورثه من أبويه أو تلقاه من أستاذه أو تعلم من بيئته، ومن ثم تتعدد مجالات الجهد والعمل التي يسرها الله تعالى لبني آدم باختلاف البلدان والمناطق والأجواء والطقوس، وتعدد العادات والتقاليد، ولكنه نظمهم في سلك واحد من نظام الشريعة الذي يعم الإنسان مهما كان في أي زمان ومكان، وإن كان العالم البشري بأكمله لم يدرك هذا السر الإلهي، وأقبل على البحث عن السعادة وسلك في ذلك طرائق قدداً، تنحت به عن الشارع الرئيسي وحالت دون اتباعه صراطاً مستقيماً صنعه خالق البشر وفق طبيعته التي فطر عليها، وأكد عليه في قوله: (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الأنعام١٥٣)..

بالرغم من هذه الحقيقة الناصعة ووجود هذا الصراط المستقيم مفتوحاً لكل إنسان، وجدت جماعة ممن يتعامون الحق ويسدلون عليه ستاراً غليظاً يصد عن رؤيته، ويؤدي إلى أن يخبط الناس خبط عشواء بحثاً عن الطريق، ولكن دون جدوى، ذاك أن الطريق الذي اختاروه لنشدان هذه الضالة لم يكن طريقاً طبيعياً، ولم يكن في ضوء المواصفات التي أنزلها الله سبحانه تلقائياً على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي، ولولا ثقتهم بالباطل وانحرافهم عن الحق لكان سيرهم على الخط الطبيعي ميسوراً، والوصول إلى الغاية

المنشودة أكيداً، غير أنهم ساروا على طريق الهلاك والدمار وأصروا على ما فعلوه، مثل الأمم المتمردة التي حاربت رسالة الله للإنسان وشريعة السماء المنزلة لصلاح أهل الأرض على السابقين من الأنبياء والرسل، فهذا نوح عليه السلام نصح لقومه كثيراً وبسط إليهم ذراعيه لكي يأخذوا منه ما ينفعهم، وإنه لم يدخر وسعاً في إقناعهم بالخير الذي أراده الله لهم، حتى إذا استيأس وتأكد أنهم لا يؤمنون التجأ إلى الله تعالى و (قَالَ : رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ).

ولا أدل على قدرة خلق الإنسان وحكمة الخالق جل وعلا فيه أنه ميزه بصنعة عجيبة في ظاهر صورته وبواطن تركيبته، وفي السر الذي أودعه فيه بجعله خليفة في الأرض دون غيره من الكائنات مهما كانت كبيرة الحجم، قوية البنية، مهيبة الشكل واللون والقامة، ثم سخرها كلها للإنسان، أليس ذلك لأنه أفضل الخلق كله، من جميع النواحي، بقلبه وروحه وعقله وتمييزه بين الطاعة والمعصية، والنفع والضرر، والبتّ في الأمور، واستعمال سلطته في الخيار، والحكم فيما يؤخذ وما يترك، فأرسل المصطفين من عباده ممن يدعون الناس إلى الخير ويدلونهم على ما يحبه الله تعالى من الأعمال وما يكرهه أو لا يرضاه منها، ولا ريب فيما إذا كان تاريخ الإنسان حافلاً بهذين الجانبين بين امتثال الأوامر والامتناع عنها والحكم فيها بعقله، والتفكير فيها والنزول على رغبات النفس بوحي من المصالح التي يرضاها العقل، فإما إلى الطاعة والامتثال وإما إلى المعصية والإنكار، وقد أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى فقال: (ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ، أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ، وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ) "سورة البلد/١٧/١٩". لقد أفاض الله سبحانه

على هذا الإنسان أنواعاً من النعم ومعطيات الجسم والروح والعقل والقلب، ثم أنزل له شرائع وأحكاماً للعيش في عزة وسعادة في الدنيا، وجنات ونعيم في الآخرة، ومع كل ذلك وفر له منابع الرزق ومواضع العمل ومكامن الخير وطمأنينة القلب، ومفاتيح الفكر والعقل، وأتبعها توجيهات وتعاليم لكي لا ينزلق إلى مزالق النفس الأمارة بالسوء، لكنه يتناسى مكانته ودوره في الحياة، ويتنزل إلى منزلة سافلة لا تليق بالأنعام، فاقداً جميع تميزاته وشرفه، وذلك ما قد صرح الله سبحانه به في أقدس كتابه: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ، أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُوْلَـئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ).

فإذا وجد هناك ناس ممن يدّعون بالإسلام، أو كانت هناك جماعة تعلن عن غيرتها الإيمانية وتجديد العمل بدين الله الأخير، وتنادي بالعودة إلى تاريخ الإسلام وإحياء الخلافة الإسلامية ورفع رايتها في كل مكان، فذاك واقع يبعث على الأمل في النفوس، ويجدد الثقة بهذا الدين وخلوده وكماله، ويؤكد أن المستقبل له مهما كانت الظروف، ولكن هذا العمل الجاد يفتقر قبل كل شيئ إلى قوة إيمانية خالصة ونوايا مخلصة صادقة، وقدوة عملية نادرة، وقلما يتوافر هذا النموذج العملي المثالي في مجتمعات المسلمين اليوم حتى في المراكز الدينية، وذلك في الحقيقة ضالتنا اليوم، وإن علماء الدين ودعاة الإسلام، والمسئولين عن العمل الإسلامي يسعون للبحث عنها وإخراجها من حيز الخفاء إلى الظهور، ومن زوايا الخمول إلى مجالات العمل والتنفيذ، ولكن هذا السعي المخلص لا يسفر عن نتائجها الإيجابية إلا بالجد والعمل الدؤب وبالعلم والحكمة بل ولا يتيسر ذلك إلا بالإخلاص الكامل، بل وهو يترقب تضحيات جساماً من المال والنفس والامكانيات المادية والمستقبل ويطلب الاستغناء عن المنافع العاجلة والمناصب المرجوة في الدنيا، ذلك

لأن الله تعالى اشترى من عباده المؤمنين كل شيئ من النفس والمال، إنه يقول : (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ وَٱلْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) التوبة- ١١١.

يقول الأستاذ سيد قطب في "ظلال القرآن" في تفسير هذه الآية :

"والذين بايعوا هذه البيعة، وعقدوا هذه الصفقة، هم صفوة مختارة ذات صفات مميزة، منها ما يختص بذوات أنفسهم في تعاملها المباشر مع الله في الشعور والشعائر، ومنها ما يختص بتكاليف هذه البيعة في أعناقهم من العمل خارج ذواتهم، لتحقيق دين الله في الأرض، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام على حدود الله في أنفسهم وفي سواهم". (ظلال القرآن)

إذن ليس كل من هب ودب ممن باع نفسه ومالَه لله الذي هو المشتري، وثمن هذه السلعة الغالية أغلى من كل ما يتصوره المرء، وهو الجنة، فأين أولئك الناعقون بإعادة الخلافة الإسلامية وتوطيد دعائم الدولة الإسلامية في بعض الدول المسلمة في العالم الإسلامي، أين هم من المؤمنين الذين باعوا أنفسهم وأموالهم بيد الله تعالى وبإزاء الجنة، ولا ينجبهم التاريخ فجاءة من غير عمل سابق وبدون تربية مسبقة ذات تكاليف باهظة تعتبر من أغلى المتاع، و ما هو إلا النفس والمال، إن ذلك لا يتحقق بإقامة منارات من الجثث ولا من قطع الأعناق ورميها بالأقدام ككرة قدم، إن التأهيل للجهاد ليس أمراً هيناً، وإنما يتم ذلك بعد مران طويل على التضحية بالنفس والمال وإنفاق الرخيص والغالي في سبيل الله، يتدرب عليه المسلم المؤمن في ضوء المناهج التربوية التي وضعها الله تبارك وتعالى وطبقها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على حياته وربى عليها أصحابه رضي الله عنهم

إلى أبعد المدى، وأنشأ جيلاً مثالياً قاد العالم وساد المجتمع، وأشرف على إعلاء كلمة الله في كل حين وآن، وطبق شريعة الله على كل إنسان وسجل بذلك تاريخاً لا مثيل له في العالم البشري اليوم.

أما أن يفاجئ العالم شخص، يزعم أنه قُيض لتغيير المنكرات الفاشية في المجتمعات البشرية والسياسات العالمية، وأنه بعث لمحاربة الرذائل، قبل أن يكون له تاريخ مسبق في ساحة العمل الإنساني والدعوة الإسلامية، فلا يمكن أن يكون سديد الرأي في تقديراته، وأساليب عمله، دون أن ترافقه حكمة ربانية أو فقه أو موعظة قبل خططه التدميرية وإهلاكه الحرث والنسل.

تاريخ الإسلام في فجره حافل بالمحن والشدائد التي تحملها المسلمون السابقون بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مدة تستغرق ٢١/ عاماً في مكة المكرمة، ثم جاء الفتح والنصر، وقامت الدولة الإسلامية و تبعتها الخلافة الراشدة، وقد أشار إلى هذا الواقع التاريخي الخالد الله سبحانه وتعالى في سورة النصر :

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا﴾.

جاء ضمن تفسير سورة النصر لابن كثير : " روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم".

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٥/١١/٧هـ ٢٠١٤/٩/٣م

التوجيه الإسلامي

قلب الإنسان في ضوء القرآن

بقلم: سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب: محمد فرمان الندوي

مركزية القلب :

ذكر القرآن الكريم القلب كأداة عاملة ومؤثرة جداً ، فقد أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودل على مركزية القلب تأثيراً وقوةً ، فقال : ألا وإن في الجسد مضغةً ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب ، رغم ذلك فإن علم الطبيعة الحديث لا يقيم للقلب أهميةً ، بل يركز على الذهن ، ويعتبر علم الحديث أن القلب آلة ضخٍّ الدم إلى الأعضاء ، هذا القول فيه نظر تطبيقاً وتجربةً ، لأن الطب الإسلامي المعروف باليوناني يطلع فيه الطبيب بحركة القلب على أمراض شتى ، يعرف الطبيب بجس العروق مصدر الألم في أي عضو هو؟ وما هي نوعية المرض والصحة ، هذا يدل على أن القلب يؤثر في الجسم كله أو يتأثر القلب على الأقل بكل حركة من حركات الجسم ، وإلا كان صعباً أن يطلع الطبيب بجس العروق على كل مرض أو كيفية ، والأطباء الغربيون يعتبرون العقل أصلاً .

ربط العواطف والمشاعر بالقلب :

ربط في القرآن الكريم سلوك الإنسان وعواطفه ومشاعره بالقلب ، بل الواقع أن بعض الاستعارات أيضاً قد استعملت للقلب ، كما قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج الآية/٦٤) وألقت أم موسى ابنه في اليمِّ بعد ولادته خوفاً من آل

[1] متفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

فرعون ، ساورتها فكرة ، فانقطعت عنها حبال جميع الأفكار والهموم ، إلاّ فكرة ابنها ، فعبر الله عن كيفية قلبها قائلاً : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً﴾ (سورة القصص الآية/١٠) هنا ربط الهم والحزن بالقلب ، الذي يطلق عليه اسم العقل عامةً ، وقد ورد في القرآن الكريم مراراً أن القلب منبع النزعات ، والنيات والأفكار ، فتركزت عنايته على إصلاح القلب وإنجاز العمل الصالح ، ونسب حدوث نزعات خاطئة أيضاً إلى القلب ، كما يدل عليه قول الله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ، كأن القرآن الكريم أشار بعلاقة النزعات الصحيحة والخاطئة للإنسان بالقلب إلى أن الناس الذين هو مخاطبو القرآن يعتبرون القلب مركز النيات والانطباعات ، والعواطف والمشاعر ، فبناءً على ذلك لفت القرآن الناس إلى إصلاح القلب ، وأقام له أهمية كما يليق بشأنه .

سعة مجالي القلب والعقل :

ذكر القرآن الكريم العقل مستقلاً بذاته من حيث العمل ، واستعمل له كلمة "اللب" التي جمعها ألباب ، والتي معناها الجوهر والأصل ، والعقل بمنزلة اللباب ، فاستعمل العقل في موضع فهم الكلام ومغزاه ، لكن ربطت النيات والعواطف بالقلب ؛ وقد أثبت علم النفس أن فهم الكلام وإدراك حقيقته لا يخضع لنياته ونزعاته ، بل تغلب عليه نفسه وهواه عامة ، ولا يلزم للإنسان أن يعمل بما علم خسارته علماً صحيحاً أو يعرفه معرفة تامة، وتتكون منه نزعاته ، كذلك عمل العقل يتحقق من معرفة حقيقة الأمر وفائدته ، رغم أن اتجاه الإنسان وهواه يمكن أن يكون مضاداً ، فيكون طريقه وحيداً ، ويتعلق الميل إلى العمل بالقلب ، فقد ذكر الله تعالى القلب في مواضع كثيرة من القرآن لتوجيه الإنسان إلى الصراط المستقيم ، وصرفت عنايته إلى اتخاذ الطريق السوي بواسطة القلب .

كلمتا القلب والفؤاد :

استعمل القرآن الكريم القلب حيناً ، والفؤاد حيناً آخر ، واستعملت لهما صيغ المفرد والجمع ، فالفارق الأساسي بينهما أن القلب

باعتبار العضو ومكانته ، والفؤاد باعتبار العمل والتأثير ، يبدو أن استعمالهما مثل استعمال العين والبصر ، والأذن والسمع ، إن القلب سواء ورد ذكرها بكلمة القلب أو الفؤاد عني بها انطباعات الإنسان ومشاعره وقوته الإرادية ونيته ، وهذه هي الخصائص التي تتميز بها الحياة الإنسانية من حياة المخلوقات الأخرى بصفة خاصة ، ويكون لها تأثير خاص بأحوال الحياة الإنسانية ، وتظهر أحوال القلب هذه في شئون الإنسان الشخصية ، وعلاقاته الاجتماعية ، وعلاقته بالله خالق الكائنات رب العالمين .

الأعمال بالنيات :

إن كيفية قلب الإنسان تجلب رحمة الله تعالى ، وإذا كانت كيفية القلب متشتتة ، ويوجد فيها فساد وانحلال تبعد الإنسان من رحمته ، فكانت الأعمال بالنيات ، لأن القلب محل نور الله تعالى ، وتتوجه العناية الإلهية إليه بتفاوت حالات القلب ، قال الله تعالى عن الرجال الذين أنعم عليهم بآلاء جسيمة : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (سورة الحجرات الآية/٣) وقال : ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الفتح الآية/١٨) وقال : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (سورة المجادلة الآية/٢٢) ، فكما أن الهداية تنزل على القلب كذلك إذا كان القلب فاسداً فلا يدخله شيئ ، قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ (سورة التوبة الآية/١٢٥) وقال : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (سورة الصف الآية/٥) وإن قساوة القلب تكون مبعث كراهية الناس ، قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٥٩) وقد أثنى الله تعالى على قلب سليم في قوله : ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ❖ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء الآيتان/٨٨ – ٨٩) وقال : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ ❖ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الصافات الآيتان/٨٣ – ٨٤) وقال : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (سورة ق الآية/٣٣) وقال : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق الآية/٧٣) وقال عن قلب آخر الأنبياء محمد ﷺ :

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (سورة البقرة الآية/٩٧) وقال : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ﴾ (سورة الشعراء الآيتان/١٩٣ – ١٩٤) وقال عن طهارة القلب وصفاته : ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب الآية/٥٣) وقال : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٢٦) وقال : ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد الآية/٢٨) وقال : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة الحجرات الآية/٧) وقال : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٠٣) وقال في أسلوب من الدعاء : ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨) وقال : ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (سورة الحشر الآية/١٠) وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الحديد الآية/٢٧) وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً﴾ (سورة الفتح الآية/٤) وقال : ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (سورة البقرة الآية/٢٦٠) وقال : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (سورة التغابن الآية/١١) وقال مشيراً إلى التدبر بالقلب : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (سور الأعراف الآية/١٧٩) وقال : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (سورة الحج الآية/٤٠) وقال : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد الآية/٢٤) وقال عن مؤاخذة أعمال القلب : ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٢٥) وقال : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (سورة الأحزاب الآية/٥) وقال مشيراً إلى كيفية القلب الصالحة : ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/٧) وقال وهو يبين الفرق بين قلب المؤمن والكافر : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/٢) وقال في موضع آخر : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الزمر الآية/٤٥) وجعل قساوة القلب وشدته وظلمته

إحدى أسباب الضلالة والكبر فقال : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٢) وقال : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد الآية/١٦) وقال : ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (سورة الحشر الآية/١٤) وقال : ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة المنافقون الآية/٣) وقال : ﴿فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٢٢) وقال : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين الآية/١٤) وقال : ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (سورة الحديد الآية/٢٦) وقال : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (سورة الفتح الآية/٢٦) وقال : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/٦٣) وقال : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (سورة الأحزاب الآية/١٢) وقال : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (سورة الحج الآية/٥٣) ومثل ذلك من الآيات .

الروح تابعة للقلب :

إن كلمة القلب توضح دوراً رئيسياً في الجسم ، فيتجلى منه أن القلب إذا تحرك على نظام صحيح عملت الروح على مسارها الصحيح ، كما قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (سورة الحج الآية/٣٢) وقال : ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ (سورة القصص الآية/١٠) وبيّن حالة القلب في هذه الآية : ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ (سورة النور الآية/٣٧) وقال : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ❖ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ❖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (سورة النازعات الآيات/٦ – ٨) وقال :﴿وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (سورة الأحزاب الآية/١٠) وقال : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ (سورة فاطر الآية/١٨) وقال : ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨٣) وقال : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (سورة الأنفال الآية/٢٤) وقال : ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ (سورة النحل الآية/١٠٦) وقال : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي

جَوْفِهِ﴾ (سورة الأحزاب الآية/٤) وبيَّن الفرق بين اللسان والقلب قائلاً : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٦٧) وبين هلع القلب قائلاً : ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (سورة الأنفال الآية/١٢) وشبه قساوة القلب بالحجارة وقال : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ (سورة البقرة الآية/٧٤) ، وبيَّن أثر لين القلب : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (سورة التحريم الآية/٤) وبيَّن أثر الربط على القلب ، قال الله تعالى : ﴿لِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (سورة الأنفال الآية/١١) وبيَّن خشوع القلب ومتطلبات الإيمان قائلاً : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (سورة الحديد الآية/١٦) وقال : ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٣) وقال عن ابتلاء القلب : ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٥٤) ، وبين كفر القلب قائلاً : ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (سورة النساء الآية/١٥٥) وقال : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (سورة البقرة الآية/٩٣) ، هذه الآيات ذكرت فيها كلمة القلب .

وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم وردت فيها كلمة القلب ، أما كلمة الفؤاد فقد وردت في ١٧/موضعاً ، في صورة الواحد أو الجمع ، بدل القلب ، وذكر في موضع حال مؤاخذته عند الله ، والسؤال عنه ، الذي يلفت إلى ملاحظة القلب بأسلوب حكيم ، وقال : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (سورة الإسراء الآية/٣٦) وذكر في موضع آخر كيفية أخرى للقلب : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (سورة النجم الآية/١١) وذكر اضطراب أم موسى عليه السلام قائلاً : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً﴾ (سورة القصص الآية/١٠) وذكر أن الأذن والعين والقلب نعم إلهية ، يجب الشكر عليها ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٧٨) وقال : ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأحقاف الآية/٢٦)

وذُكرت مكانة الفؤاد كعضو بارز في الجسم ، بحيث نقل دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٣٧) ونسب الفؤاد إلى ذاته قائلاً : ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (سورة هود الآية/١٢) ، وقال : ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (سورة الفرقان الآية/٣٢) وقال : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً﴾ (سورة الأحقاف الآية/٢٦) ، وقال : ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية/١١٣) وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ وقال بأسلوب آخر : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الملك الآية/٢٣) وذكر كيفيات أخرى للقلب بكلمة الفؤاد : ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٤٣) وبيَّنها وهو ينسب إلى ذاته : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (سورة الأنعام الآية/١١٠) وقال : ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ❖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ (سورة الهمزة الآية/٧) وباستعمال كلمة "الصدر" في مواضع متعددة من القرآن أشار إلى القلب ، كما قال الله مخاطباً نبيه ﷺ في سورة الشرح : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ، كذلك ذكر في موضع آخر دعاء نبي من أنبيائه : ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ، وقال عنه : ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

دور القلب والعقل :

الواقع أن القلب والعقل عضوان بارزان في جسم الإنسان ، يعرف بهما الإنسان أحوال حياته وما اكتنفها من شئون ومعاملات ، وينفذ بهما إرادته وفكره ، فالأمور المتعلقة بالعقل مركزها الدماغ ، والعواطف والمشاعر مركزها القلب ، فقد فضل الله تعالى الإنسان بهما على المخلوقات الأخرى ، أما العقل والدماغ فلا يحرض الإنسان على العمل وإنجاز البرامج فقط ، بل يزيد الإنسان علماً ومعرفةً ، لكن القلب والعواطف يبعث الإنسان على العمل أو الاستماته فيه ، ويبعث كذلك على القيام بإنجازات مهمة ومفيدة مقابل المخلوقات الأخرى . ●●

شرح قصيدة:

"الكواكب الدرية في مدح خير البرية"

المعروفة "بالبردة" للإمام الأكبر الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر

(الحلقة الحادية عشرة)

بقلم: الأستاذ الدكتور/غريب جمعة
جدة_ المملكة العربية السعودية

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى (٧٧)

(٧٧) قوله وما حوى الغار أي واذكر ما حوى الغار إلخ أي وأقسمت بما حوى الغار، وعلى الثاني فجواب القسم معلوم مما قبله، والغار ثقب في الجبل، وكان في جبل ثور بأسفل مكة، وقوله "من خير ومن كرم"، بيان لما حوى الغار، وظاهره أن المراد نفس الصفتين من غير تقدير مضاف وعليه فما باقية على معناها كما ذكره بعضهم، والأظهر جعله على حذف مضاف، أنه من ذي خير، ومن ذي كرم، وعلى هذا فما بمعنى "من" لأن ما لغير العاقل، ومن للعاقل، والمراد بالخير الأخلاق الحميدة وبالكرم الجود، فهما متغايرتان تغاير الأعم والأخص، وكل منهما لكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أبي بكر ويحتمل أن الأول للنبي صلى الله عليه وسلم والثاني لأبي بكر، وعلى هذا فإنما خصه بالكرم لأنه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه بنفسه وماله، ولذلك لما أتيا الغار تقدم أبوبكر في الدخول لاحتمال أن يكون به أذى فيتلقاه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يجد شيئا، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر، وكان هناك جحر فيه حيات وأفاعي، فخشي أبوبكر أن يخرج منه شيئ يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه، فجعلت الحيات والأفاعي تضربنه وتلسعنه، ولم يتحرك مخافة أن يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم وسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا أبابكر ما يبكيك؟ قال لُدغت، فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما كان يجده، لكنه كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور، وفي بعض التواريخ أنه

مات بسم آخر، لأنه أكل شيئا مع أعرابي، فقال له الأعرابي: ارفع يدك يا خليفة رسول الله فإن هذا الطعام فيه سم سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد وكان كذلك. وقوله "وكل طرف" إلخ أي والحال أن كل طرف إلخ فالواو وللحال والطرف بسكون الراء هو البصر، وقوله "عنه" أي عن ما حوى الغار وقوله "عمى" يحتمل جعله فعلا، وجعله اسماً، وقد لبث النبي وأبوبكر في الغار ثلاث ليال وجاء الكفار حوالي الغار ينظرونه، فأعماهم الله تعالى، قال أبوبكر: نظرت إلى أقدامهم فوق رؤوسنا، فقلت يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا فقال صلى الله عليه وسلم: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟" وفي التنزيل: "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" (التوبة ٤).

فالصدق في الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من أرم (٧٨)

---

(٧٨) قوله "فالصدق" إلخ، أي فذوا الصدق إلخ، فهو على حذف مضاف، أو يؤول الصدق بالصادق أو يجعل من باب المبالغة، وقوله "والصديق": أي في الغار، ففيه الحذف من الثاني لدلالة الأول وقوله"لم يرما" بكسر الراء أي لم يبرحا، وأصله يريما، حذفت منه الياء تبعا لحذفها في إسناده إلى المفرد كما في قولك زيد لم يرم، فإن أصله يريم، حذفت منه الياء مع الجازم لالتقاء الساكنين، وقوله"وهم يقولون" أي والحال أنهم يقولون إلخ، والضمير راجع للكفار المعلومين من السياق وجملة قوله "وما بالغار من أرم" مقول القوم وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد، وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، "ومن" زائدة وإنما قالوا ذلك لكونهم رأوا حوم الحمام حول الغار، ونسج العنكبوت على فمه فظنوا أنهما ليسا فيه كما أشار إليه الناظم في البيت بعد هذا، وذلك أنه تقدم رجل منهم فنظر حمامتين على فم الغار فقال: ليس في الغار شيئ، رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أنه ليس فيه أحد، فقال رجل آخر: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: وما أربكم بالغار؟ (أي وما حاجتكم؟) إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد.

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم (٧٩)

هو طبيب العرب المشهور الحارث بن كلدة.

(٧٩) قوله "ظنوا الحمام" إلخ هذا البيت كالتعليل لما قبله، كما علمت وقوله:"على خير البرية" متعلق بقوله "لم تنسج" أو بقوله "لم تحم" وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول، أو بالعكس. وقوله "لم تنسج" بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت، وقوله "ولم تحم" بضم الحاء راجع للحمام ففيه لف ونشر مشوش، وسبب ظنهم ذلك أن هذين الحيوانين متى أحسا بالإنسان فرا منه، ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه.

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم (٨٠)

(٨٠) قوله "وقاية الله" إلخ، أي حفظ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعا فوق درع للحفظ من العدو، أو أن تنسج الدرع حلقتين وتلبس للحفظ من العدو، فالمراد بالمضاعفة من أن يلبس الشخص درعا فوق درع، وقيل: أن تنسج الدرع حلقتين، وقوله "وعن عال من الأطم" أي وأغنت عن عال من الحصونة التي يتحصن فيها من العدو،فالأطم بضم الهمزة والطاء بمعنى الحصونة، جمع أطمة وهي الحصن وفي هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى "إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا" (التوبة/٤٠).

ما ضامني الدهر يوما واستجرت به
إلا ونلت جوارا منه لم يضم (٨١)

(٨١) قوله "ما ضامني الدهر يوما" إلخ هكذا في بعض النسخ وفي بعضها " ما سامني الدهر ضيما" والمعنى على الأول ما ظلمني الدهر في يوم إلخ. وعلى الثاني: ما أرادني وقصدني الدهر بظلم إلخ، وعلى كل فلا بد من تقدير مضاف أي أهل الدهر، وإلا فالدهر لا يظلم ولا يريد الظلم، وإن جرت عادة العرب بنسبة الظلم إليه لوقوعه فيه، وقوله "واستجرت به" أي طلبت منه أن يجيرني من ذلك، فالسين والتاء للطلب، وقوله" إلا ونلت جوارا منه" أي إلا وأعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها أي حمى وحفظا من الرسول، وقوله "لم يضم" بالبناء للمجهول أي لم يحتقر بل يحترم.

ولا التمست غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم (٨٢)

(٨٢) قوله "ولا التمست" إلخ معطوف على قوله " ما ضامني الدهر" إلخ والالتماس عند بعضهم اسم للطلب من المساوى والمراد منه هنا الطلب بخضوع[٢] وذلة،وقوله

[٢] والمراد أنه استشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في غنى الدارين.

"غنى الدارين" أي داري الدنيا والآخرة والغنى في الأولى بالكفاية وفي الثانية بالسلامة من العذاب، وقوله "من يده" أي من نعمته فالمراد من اليد هنا النعمة. وقيل المراد فيها الذات الكريمة وقوله "إلا التمست" أي إلا أخذت فالمراد بالاستلام هنا الأخذ، كما في قولهم استلمت معروفه على سبيل التجوز لأنه في الأصل اللمس باليد او الفم، كما في قولهم "استلمت الحجر" وقوله "الندى" بفتح النون مع القصر هو العطاء والكرم، وقوله "من خير مستلم" بفتح اللام أي من خير مستلم منه، فصلته محذوفة والمستلم منه هو المأخوذ منه وإنما كان صلى الله عليه وسلم خير مستلم منه لأنه لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة[٣] فإن قيل إخباره عن نيل غنى الدنيا منه صحيح لأنه مشاهد في الحس بخلاف إخباره عن نيل غنى الآخرة منه صلى الله عليه وسلم فإنه غير مشاهد في الحس فكيف يصح إخباره عنه؟ أجيب بأنه مشاهد بقوة يقين الإيمان، وفي هذا البيت والذي قبله براعة المطلب وهي كما قاله الزنجاني في كتاب "المعيار" أن يلوح بالطلب بألفاظ عذبة خالية من الاجحاف مقترنة بتعظيم الممدوح تشعر بما في النفس دون كشفه، وقيود هذا الحد كلها موجودة في هذين البيتين.

لا تنكر الوحي من رؤياه، إن له
قلبا إذا نامت العينان لم تنم (٨٣)

---

(٨٣) قوله "لا تنكر الوحي" إلخ هذا شروع في مبدأ الوحي إلخ وقوله "من رؤياه" حال من الوحي ومن للابتداء، أي لا تنكر الوحي حال كونه مبتدأ من رؤياه في النوم، فإن بدء الوحي كان بالرؤيا الصادقة (الصالحة) في النوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقوله "إن له قلبا" إلخ تعليل لما قبله أي إن له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة حتى إذا نامت عيناه الشريفتان لم ينم قلبه، لأنه مهبط الوحي، وقد شق وطهر من التعلق بغير الله، وملئ حكمة وإيمانا فصارت اليقظة الدائمة من صفاته فحسن أن يخاطب ويتعلق به الوحي، وقد ورد في الصحيحين:

إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي، لا يقال: يشكل على ذلك أن النبي صلى الله عليه

---

[٣] وقد سبق قول حسان رضي الله عنه:

له راحة لو أن معشار جودها ... على البر كان البر أندى من البحر
له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

وسلم نام مع أصحابه في الوادي فلم يوقظهم إلا حر الشمس[٤] لأنا نقول: نظر القلب إنما هو فيما غاب عن الشاهد، ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت أخذت حظها من النوم.

وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم (٨٤)

(٨٤) قوله "وذاك" إلخ لما كان هذا البيت المتقدم يوهم أن الوحي من رؤياه في النوم الدائم دفع ذلك بقوله وذاك إلخ، واسم الإشارة راجع للوحي من رؤياه في النوم، وقوله "حين بلوغ من نبوته" أي حين وصول إلى نبوته، فالبلوغ بمعنى الوصول و "من" بمعنى "إلى" والمعنى والوحي من رؤياه في النوم كائن، كائن وحاصل حين الوصول إلى نبوته، وحكمة ذلك الاستئناس بملاقاة الملك في النوم ليطبقه ذلك في اليقظة بعد، إذ لو جاء في اليقظة ابتداء لأمكن أن لا يطيق ملاقاته، فلما استأنس بذلك أتاه في اليقظة، وقوله "فليس" إلخ، تفريع على قوله "وذاك حين بلوغ" إلخ، وينكر بالبناء للمفعول، و "حال محتلم" نائب فاعل، والضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بحال المحتلم: الوحي من رؤياه في النوم، لأن المحتلم هو النائم، وحاله ما يراه في نومه والحاصل أن ذلك إنما كان في ابتداء النبوة، وقد نبئ على رأس أربعين سنة وذلك حد مبدأ النبوة، وإذا كان كذلك فلا ينكر الوحي من رؤياه حينئذ وإن كانت مرتبته صلى الله عليه وسلم أعلى المراتب، وكان مقتضى ذلك أن لا يكون الوحي إليه في النوم لأن الوحي في النوم أدنى من الوحي في اليقظة.

تبارك الله ما وحي بمكتسب
ولا نبي على غيب بمتهم (٨٥)

(٨٥) قوله "تبارك الله" إلخ، هذا البيت استدلال على ما قبله ومعنى تبارك الله، تنزه الله تعالى وارتفع مما يقوله الكافرون علوا كبيرا، وقوله "وما وحي بمكتسب" أي ليس وحي وإن قل بمكتسب لأحد بسعيه فيه بأن يحصل بأسباب لأن اكتساب الشيئ تحصيله بأسبابه، التي جرت العادة الغالبة بحصوله عقبها

[٤] وهناك علة أخرى، وهي إنما أنامهم الله تعالى إلى إيقاظ حر الشمس فنزل حكم الصلاة بعد الشمس إذا نام المسلم إلى هذا الوقت، فالإنامة هنا للتشريع وليست طبيعته صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم.

وإذا لم يكن مكتسبا، بل بتخصيص الله به من يشاء من عباده، فلا ينكر وقوعه في الرؤيا، كما لا ينكر وقوعه في اليقظة، فإن فعل الفاعل المختار لا يختص بحالة دون الأخرى، فالذي عليه أهل الحق أن الوحي ليس مكتسبا، خلافا لزاعمي ذلك وهم الفلاسفة، فإنهم زعموا أنه مكتسب بالخلوة والرياضة، وهو كفر صراح، فيجب الإيمان بأن ذلك بمحض فضل الله، قال تعالى: "الله أعلم حيث يجعل رسالته"[٥] (الأنعام/١٢٤)، ومثل الوحي الوحي الولاية، فليست بمكتسبة أيضا، بل بفضل الله يؤتيه من يشاء.[٦] وقوله "لا نبي على غيب بمتهم" أي ولا نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار بالغيب، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب كسائر المعاصي، ولا يرد قوله تعالى "ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (الفتح/٢) وقوله تعالى "ووضعنا عنك وزرك" (الشرح/٢)، ونحو ذلك لأن ما يقع منهم من باب "حسنات الأبرار سيئات المقربين"[٧] فإن المقرب أعلى درجة من البار فإذا فضل البار حسنة يراها المقرب في حقه (أي في حق المقرب) سيئة ومثلوا ذلك بما إذا تصدق البار برغيف، وأبقى عنده رغيفا آخر فإن هذا حسنة عنده، ولكن يراها المقرب سيئة، لكون الأولى أن يتصدق بالرغيفين معاً، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى "وما هو على الغيب بضنين" (التكوير/٢٤) أي بمتهم، وإلى قوله تعالى "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" (النجم/٤،٣). والحاصل أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الحسنة بإجماع ومن صغائر غير الحسنة على ما عليه المحققون، والراجح

[٥] وقوله جل وعلا "يجعل" خاص بأنها غير مكتسبة، وإنما هي جعل من الله تعالى وتخصيص لشخص معين لا يصلح غيره.

[٦] لا شك أن الولاية فضل من الله تعالى ولكن قد يتفضل الله سبحانه على عبد بالهبة فيهبه الولاية، وقد يتفضل على عبد بأن يلهمه سلوك طريق الولاية. فلا ينالها إلا بعد جهد ومشقة وعناء، والكل في الحالين هبة تكرم من الله تعالى للعبد المفاض عليه، ونسأله سبحانه أن يلهمنا حسن الأدب معه ومع رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم جميعا.

[٧] أي ان الحسنة عند البار، هي نفسها سيئة عند المقرب، ولنضرب لك مثلا: إذا كان عندك ولدان، أحدهما أقل من الآخر في سلوكه، والآخر أعلى وأفضل، فلو أن الأقل فعل حسنة لكانت بالنسبة له سيئة لأن مقامه أعلى، هذا هو معنى "حسنات الأبرار سيئات المقربين" إذ الكل حسن ولكن يختلف باختلاف منزلة الشخص.

وقد ضربت لك هذا للتقريب والله سبحانه يقبل من الجميع، ولكن المقرب نفسه هو الذي يلوم نفسه على فعل، هو أقل، والله تعالى أعلم بالمراد.

أنهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها خلافا لمن جوزها عليهم قبل النبوة، ولما وقع منهم من محامل.

فأما قصة آدم وهي أنه أكل من الشجرة، وقد نهاه الله عنها فمحمولة على أنه تأول النهي، مع أنه وإن كان منهيا ظاهرا هو مأمور باطنا لحكمة يعلمها الله تعالى[8] فهي معصية لا كالمعاصي.

وأما قول إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم -هذا ربي- فقد ذكره مجاراة لهم، أي هذا ربي بزعمكم وغرضه بذلك التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال "فلما أفل قال لا أحب الآفلين" فكأنه قال لو كان ربا لما أفل، لكنه أفل فليس برب.[9]

وأما ما صدر من إخوة يوسف، فلا يرد لأنه قد اختلف في ثبوت نبوتهم، فعلى القول بعدم نبوتهم لا إشكال، وعلى القول بنبوتهم فيؤول ما صدر منهم بما أولت به قصة آدم، وأما هم يوسف بزليخا فهو أمر جبلي لا اختياري حتى يكون مذموما، والرغبة في النساء محمودة، إذ عدمها يدل على العنه، وهي نقيصة، ولما هم يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه وذلك معنى قوله تعالى "وهم بها لولا أن رأى برهان ربه"[10] (يوسف/٢٤).

---

[8] ولا تأخذنا في هذا دوامة الفكر الخبيث الذي اصطنعه الفلاسفة ومن نحا نحوهم من أبالسة الخلق، إذ أن آدم لو لم يأكل من الشجرة ما خرج من الجنة، ولو لم يخرج منها ما كان له ذرية لأن الجنة لا توالد فيها، وكل ذلك لحكمة يعلمها الله وليس لنا أن نخوض فيها إلا بالأدب اللازم في حق الأنبياء والرسل صلوات الله وسلام عليهم أجمعين.

[9] لأن سيدنا إبراهيم صلوات الله وسلام عليه استدرجهم وأخبرهم بهذا الأسلوب أن هذه الكواكب تأفل أي تغيب والذي يغيب تارة ويشرق تارة لا بد له من محرك يحركه، وألزمهم الحجة حيث قال تعالى بعد كلامه الذي حكاه الله تعالى في سورة الأنعام الآيات: ٧٥-٧٩ "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه" فألزمهم الحجة ولكنهم مع ذلك جادلوه عنادا واستكبارا في الأرض وعتوا.

[10] هذا الذي قاله الشيخ ليس بصحيح -رحمه الله تعالى- لأن الهم منه لما يكن لما يظن بعض الناس، وإنما لدفعها عن نفسه، وذلك لما راودته عن نفسه، فقال -معاذ الله- عرفت منه أنه لا يقبل على الحرام فهمت هي أيضا لإهانته، وأما أمر الزنا فقد عرفت تماما أنه لا يفعله وقوله تعالى: "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء" قاصد في ذلك، لأن الواو تفيد المغايرة، فالسوء شيئ والفحشاء: الزنا. وصرف الله تعالى عنه هذا وذاك، وقوله: "إن ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون" يقول لها إن هذا الرجل رباني في بيته فكيف أخونه في عرضه، هذا ظلم له، إنه لا يفلح الظالمون والخوض في أعراض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مزلة إلى الكفر والعياذ بالله.

وأما قصة داود عليه السلام وهي أنه خطر بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوج من زوجته، لما علم من حسنها فأرسل الله إليه ملكين في صورة رجلين اختصما إليه إلى آخر القصة المذكورة في سورة "ص". فلا ترد أيضا لأن ما وقع منه ليس معصية لكنه غير لائق بمقامه ولذلك عوتب عليه، وبكى حتى نبت العشب من دموعه، وذكر بعض المفسرين أن جماعة من الناس حقيقة تسوروا قصره ليقتلوه فلما رآهم خاف كما قال الله تعالى ففزع منهم، وإنما خاف لما تقرر في العرف من أنه لا يتسور دور الملوك من غير إذنهم إلا ذو ريبة، فلما رأوه مستيقظا خافوا من فعلهم واخترعوا خصومة لا أصل لها، زعما منهم إنما قصدوه لأجلها دون ما توهمه، ثم ادعى واحد منهم على الآخر كما أخبر الله تعالى، فقال داود في الجواب: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه" وحمل الآية على هذه القصة أولى، لأن الملائكة لا يظلم بعضهم بعضا، فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة.[11] انتهى من العسقلاني ببعض تغيير واختصار.

❖ تعقيب (مع الاعتذار للإخوة القراء) عن طول المقال:

يقول كاتب هذه السطور: ينبغي أن لا نمر على موضوع عصمة الأنبياء مرور غير الكرام!! بل لا بد من ضميمة أخرى إلى ما تقدم حتى لا تختصم أفهام ولا تزل أقدام فإن الحق أبلج والباطل لجلج.

قال القاضي عياض –يرحمه الله– "والصحيح بمشيئة الله تنزيه الأنبياء عن كل عيب سابق للنبوة أو لاحق وعصمتهم من كل ما يوجب الريب أي شبهة مخالفة الله، كما أن المعاصي والنواهي لا تعرف إلا بعد تقرر الشرع، والشرع في أصله وفروعه لا وجود له قبل النبوة."

وإذا تقرر ذلك فهذه ردود على بعض الشبهات التي مرت بنا من قبل:

---

[11] قوله تعالى "وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب" القرآن واضح في أنهم كانوا خصما، وتسورهم المحراب، لأنه كان يوم عبادته، ولو رجعنا إلى قوله تعالى:

"يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض" لعرفنا أن الله تعالى لما جعله ملكا على بني اسرائيل علمه طريقة الحكم: إذ ليس له أن يأخذ بكلام خصم دون الآخر فلربما كان الآخر مظلوما لا ظالما، لما قال له: "فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى" كانت هذه الآية قاعدة من قواعد الحكم إلى أبد الدهر، ومن المعروف أن كثيرا من المفسرين حشا تفسيره من كلام اليهود ولكن على سبيل الحكاية لا العقيدة إلا من شذ منهم.

- مما جاء في قصة آدم عليه السلام وأكله هو وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها في قوله تعالى: "فأكلا منها" بعد قوله "ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" (البقرة/٣٥) وقوله: "ألم أنهكما عن تلكما الشجرة" (الأعراف/٢٢)، وتصريحه تعالى عليه وعلى زوجه بالمعصية في آية "وعصى آدم ربه فغوى" (طه/١٢١). هذه المخالفة كانت من آدم وحواء بسبب طروء النسيان، لا عن عمد وقصد للمخالفة لقوله تعالى "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما" (طه/١١٥). قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله "إن هذا عدو لك ولزوجك" (طه/ ١١٧) أي فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى انت وزوجك.

ثم إن آدم مثل يونس عند أكثر المفسرين لم يكن من أهل العزم، وقد اغتر بحلف إبليس لهما والمؤمن يخدع عادة كما جاء في الحديث رواه أبو داود والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه " المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم" وكانت توبة آدم من ترك التحفظ والأحوط لعدم معرفته بالشجرة التي نهي عن الأكل منها.

- ما جاء في قصة يوسف عليه السلام وهو قوله تعالى "ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه" ففي مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس (أي خواطرها) لا مؤاخذة فيه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن ربه "إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة" فلا معصية في هم يوسف عليه السلام. وعلى مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين وهو الحق قال القاضي عياض: فإن الهم إذا وطنت (استقرت) عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه فيكون هم يوسف من هذا النوع.

وقال أبو عبيدة: إن يوسف لم يهم أصلا وإن كان الكلام فيه تقديم وتأخير، أي ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، وقد قال الله تعالى عن المرأة "ولقد راودته عن نفسه فاستعصم" (يوسف/٣٢) وقال تعالى: "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء" (يوسف/٢٤) وقوله

تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي" (يوسف/٤٢) وقيل هم بها أي زجرها (طردها) ووعظها أو هم بضربها ودفعها، وقيل هذا كله كان قبل النبوة. (انتهى من كتاب شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، د. وهبة الزحيلي. دار الفكر. دمشق ط أ عام ٢٠٠٨). ولله در العلامة الآلوسي حين يقول: "وبالجملة لا ينبغي التعديل على ما شاع في الأخبار والعدول عما ذهب إليه المحققون الأخيار، وإياك والهم بنسبة تلك الشنيعة إلى ذلك الجناب بعد أن كشف الله عن بصر بصيرتك فرأيت برهان ربك بلا حجاب."

- أما ما جاء في بعض كتب التفسير من أن المراد بالنعاج في قصة داود إنما هو النساء كما جاء كناية عن ذلك في كلام العرب كما قال:

"كنعاج الفلا تعسفن رملا"

فذلك يتوقف على أن كلمة نعجة في اللغة العربية تستعمل كناية عن المرأة كما أنها تستعمل كذلك في اللغة العبرية، ولكن تأباه كلمة "الخلطاء" وكذلك ما يقال من الخصمين كانا ملكين فإن "تسوروا" تأباه لأن الملائكة أجسام نورانية لا أجسام كثيفة فلا حاجة إلى التسور، إلى أن ما جاء من السبب في ثنايا القصة عن مجيئ الملائكة، مما يخل بمنصب النبوة، وفيه نسبة الكبائر إلى الأنبياء، فيجب علينا أن نطرحه، إذ يبطل الوثوق بالشرائع إلى ما فيه من مطعن لأرباب الأديان الأخرى على المسلمين إذ نسبوا إلى الأنبياء ما يجل عنه مقامهم، ويأباه عامة الناس فضلا عن الأنبياء الذين اصطفاهم الله لرسالاته. ومن ثم أثر عن الإمام علي رضي الله عنه قال:

"من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وسبعين جلدة" ا هـ بتصرف، والله أعلم.

(تفسير المراغي- أحمد مصطفى المراغي- دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، الطبعة الأولى، الجزء ٢٣، سورة "ص" صفحة ٢١٥).

أساليب الجدل في القرآن الكريم

الأستاذ محمد نعمة الله إدريس الندوي (المرشد الإسلامي بمركز الدعوة و الإرشاد في دبي)

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على محمد أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.... وبعد :

فمن المعلوم بالضرورة أن القرآن الكريم كتاب دعوة و هداية أنزله الله تعالى على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، و ينقذ العالم من متاهات الشكوك إلى حقائق الأمن و اليقين بتوجيه خطاب مشتمل على الحجج و البراهين التي تنفذ إلى العقول و القلوب معا.

و بما أنّ الجدل يُقصد به مغالبة الخصم و إلزامُه فإنّ الجدل القرآني يسوق الأدلة و البراهين مستهدفا إثباتَ الحق و دفعَ الباطل و ردَّ الشبهات لهداية الكافرين و إلزام المعاندين ممّا يعني أنّ الجدل في القرآن عبارة عن براهينه و أدلتّه التي يوردها و يستدلّ بها لتقرير الحق و إزهاق الباطل أمام المعاندين و المكابرين،و هي مشتملة على أدلّة العقائد دون أدلّة الأحكام لأنّ أدلّة العقائد هي التي تحتوي على الجدل بالأخذ و الردّ و النقض و الإبطال و المعارضة، فتحاجّ العقل البَشريّ بأروع أسلوب و أحكم بيان، لايرتقي إلى بيانه محتجّ أو متكلم،ولايداني أساليب احتجاجه واستدلاله مستدلّ أو مجادل.

و من سنّة الله في خلقه أن جعل مقاييس العقول متفاوتة و نزعاتِ النفوس متباينة ، فقد سلك القرآن الكريم في مخاطباته واستدلالاته أساليب شتى و تفنّن في ضروب الهداية و الإقناع و طرق الإلزام و الإفحام؛ لاختلاف مشارب الناس و تباين مقاصدهم وتفاوت مداركهم، حتى يقنع المعاندين و المنكرين و الشاكين بجداله، و يجعلهم يقرّون بصحّة ما يدعو

إليه، و ما يقرّره من الحق و الصواب. أمّا المظهر العام الذي نستطيع أن نتبيّنه في جدل القرآن هو كونه جدلَ دلالة و هداية مع المشركين، وقد يشتمل على تخطئة بعض مزاعمهم بينما يكون مع أهل الكتاب جدلُ تخطئة وإلزام؛ لأنّهم على علم، أمّا جدل القرءان مع المنافقين فتبدو عليه سمات الشدّة والقسوة مصحوباً بالتهديد والوعيد.

و ممّا ينبغي أن يشار إليه هو أن ما ذكرناه من المسلك السائد للجدال في القرآن الكريم، فيه إرشاد و توجيه و تعليم لنا، حينما أردنا أن نختار المنهج السليم الذي لابد أن نتمسك به لدى مخاطبة الآخرين، فعندما نتحاور مع المشركين لاننسى الوصول إلى الحقيقة التي تقر بوجود الخالق سبحانه و تعالى و حقّ توحيده و عبادته بالامتثال بما جاء به الرسل عليهم الصلاة و السلام، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة. أما التحاور مع أهل الكتاب فيكون على أساس الاشتراك في أصل الدين و هو الإسلام الذي جاء به جميع الأنبياء و الرسل من لدن نوح إلى محمد خاتم النبيين عليهم الصلاة و السلام مع الإشارة إلى الوصايا العشر التي هي مشتركة بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة، و ذكرها القرآن الكريم في موضعين في سورة الأنعام (الآيات: ١٥١- ١٥٣) و سورة الإسراء (الآيات : ٢٣- ٣٩).

و قد تبادر العلماء لذكرمناهج جدل القرآن و مسالكه المتنوّعة في الاستدلال للردّ على الخصوم في مؤلفاتهم القيّمة، كالإمام السيوطي في كتابه "الإتقان" و الشيخ محمد علي سلامة في كتابه " منهج الفرقان في علوم القرآن" و الدكتور زاهر الألمعي في كتابه " مناهج الجدل في القرآن الكريم " و غيرهم. و أعرض أمامكم بعضا من هذه الأساليب الجدلية للقرآن الكريم متوخيا فيها الإيجاز، و قد سمّاها العلماء بمسمّيات مختلفة و هي كالتالي :

١. السبر و التقسيم أو طريقة القسمة:

استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوبَ لإبطال دعوى المجادل، ويكون ذلك بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل فيه، ثمّ يبيّن أنّه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصيةٌ تسوّغ قبول الدعوى فيه، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا

الحصر، و ذكر السيوطي رحمه الله مثاله بقوله تعالى: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ (الأنعام ١٤٣- ١٤٤)

و بيّن السيوطي رحمه الله وجه الاستدلال من الآية فقال ما خلاصته : إنّ الكفار لمّا حرّموا ذكور الأنعام تارة و إناثها تارة أخرى، ردّ الله عليهم بطريق السبر و التقسيم حيث وجّه إليهم السؤال فقال ما علة تحريم ما ذكرتم ؟ لايخلو من أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال لِ الرحم لهما، أو لايُدرى له علة فيكون أمرا تعبدياً يؤخذ من الله تعالى إمّا بوحي أو إرسال رسول، والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً ، و الثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً ، و الثالث يلزم عليه تحريم الصنفين، و الأخذ عن الله بلاواسطة باطل ولم يدّعوه، وبواسطة رسول كذلك؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم، و إذا بطل جميع ذلك، ثبت أنّ ما قالوه افتراء على الله وضلال . (الإتقان ج ٤ ص٥٥).

٢ . الاستفهام التقريري :

وهو الاستفهام عن المقدّمات البيّنة البرهانية التي لايمكن لأحد أن يجحدها، و بالتالي يسلّم بها الخصم، فتدلّ على المطلوب لتقرير المخاطب بالحقّ، ولاعترافه بإنكار الباطل، و من أمثلة الاستفهام التقريري:

قوله تعالى : أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (يس ٨١)

و قوله عزّ و جلّ " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الأحقاف ٣٢)

وهذا النوع من الأساليب الجدلية بالبرهان من أحسن مسالك الجدل في القرآن، لكون مقدِّماته حقائقَ مسلّمةً لدي الجميع، وليس لدى الخصم فقط، كما هي الطريقة الجدلية المعروفة عند أهل المنطق، من هنا يكون أدعى للقبول و مجانبةِ الباطل كما أنّ في الاستفهام استثارةً لما في النفوس فيكون الإلزامُ أقوى و أبلغ، قاله الدكتور زاهر الألمعي . (مناهج الجدل ص ٧٦).

٣. الأقيسة الإضمارية:

وهي الأقيسة التي تحذف فيها إحدى المقدِّمات مع وجود ما يدلّ على المحذوف، وهي شائعة الإستعمال في الاستدلال الخطابي، ويرى صاحب شرح العقيدة الطحاوية بأنّها الطريقة الفصيحة في البيان و هي طريقة القرآن (شرح العقيدة الصحيحة ص ٢٣). و ذلك لأنّ القرآن الكريم مبناه الحذف و الإيجاز كما قاله الغزالي رحمه الله، ومثال ذلك قوله عزّ وجلّ: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خلقه مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (آل عمران/٥٩)

نلاحظ في هذا دليلا قويا مبطلا لما يدّعون، ولم تذكر فيه سوى مقدمة واحدة،وهي إثبات مماثلة آدم لعيسى وطوي ماعداه، وكأنّ الدليل سياقه هكذا : إذا كان الخلق من غير أب مسوّغاً لاتخاذ عيسى إلهاً، فأولى بآدم المخلوقِ من غير أب ولا أمّ أن يكون هو الآخر إلهاً،لكن لمّا لم يكن آدم إلهاً باعترافكم، فمن باب أولى أن لا يكون عيسى إلهاً.

كما لايخفى علينا أن حذف هذه المقدمات قد أعطى الكلام طلاوة وأكسبه رونقاً،وجعل الجملة مثلا مأثورا يفيد في الردّ على النصارى وفي الوعظ العام.

و لعلّه من المفيد أن أذكرهنا أنّ بعض العلماء ذكر الاستفهام التقريريّ و الأقيسة الإضمارية تحت اسم واحد و هو قياس الأولى ومعناه: إثبات حكم الشيء بناء على ثبوته لنظيره بشكل آكدَ وأقوى؛ فإذا لم يكن آدم إلهاً فمن باب أولى أن لا يكون عيسى إلهاً. و إذا كان الله قادراعلى خلق شيء فيكون أقدرعلى خلق مثله أو أقل منه، و من أمثلته

قوله تعالى : وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ! قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (سورة يس آية٧٨).

٤ . قياس الخُلْف:

وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، ذلك لأنّ النقيضين لايجتمعان كالمقابلة بين العدم والوجود. ومن ذلك الاستدلالُ على التوحيد بقول الله تعالى : لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ { الأنبياء / ٢٢}وقوله تعالى في إثبات أنّ القرآن الكريم من عنده : وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً {النساء /٨٢}

ففي الآيتين الكريمتين أثبت سبحانه المطلوب بإبطال نقيضه. فما دامت السماوات والأرض قائمتين على الكمال لم يفسد نظامهما، فالمدبّر واحد فرد صمد لاينازعه أحد، وما دام القرآن الكريم متناسقا معجزا لااختلاف فيه لايستطيع أحد محاكاته فهو من عند الله تعالى.

ويسمّى هذا الدليل برهان التمانع أيضا، أي امتنعت الوثنية لامتناع الفساد فكانت الوحدانية.

٥ . قياس التمثيل:

و هو قياس الغائب على الشاهد، والقرآن الكريم يستخدمه لإثبات قدرة الله عزّ و جلّ بأمور مشاهدة للإنسان أو معلومة له بشكل قطعيّ لا تنكره العقول، و كثير من استدلالات البعث تقوم على هذا الأسلوب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {سورة فصلت : ٣٩ } .

فقياس الغائب هنا وهو إحياء الموتى على أمر مشاهد محسوس لا يشكّ فيه عاقل وهو حياة الأرض بعد يبسها و جفافها.

هذا الاستخدام القرآنيُّ لأسلوب قياس التمثيل يختلف جداً عن استخدام بعض المتكلمين إذ جرت عادتهم على استخدامه في الصفات والأفعال الإلهية مما جرّ إلى كثير من الأخطاء و الضلالات.

٦ . القول بالموجَب:

و هو ردّ دعوى الخصم من فحوى كلامه كما ذكره السيوطي عن ابن أبي الأصبع (الإتقان ج٤ص٥٥) و من أمثلته في القرآن الكريم قول الله سبحانه و تعالى : يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المنافقينَ لَا يَعْلَمُونَ (المنافقون:٨).

فكأنّه قيل للمنافقين صحيح ما تقولون (ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ) و لكنّ الأعزّ هو الله و رسوله و المؤمنون و أنتم الأذلّ وستخرجون منها.

٧. مجاراة الخصم لتتبيّن عثرته:

و ذلك بأن تُسلّم للخصم بعض مقدّماته ثمّ تنقض و تبطل بأنّها لا تنتج ما يريده هو، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى و هو يحكي عن الأنبياء وأقوامهم : قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . (إبراهيم - ١٠- ١١).

فهنا تسليم من الأنبياء عليهم السلام للمنكرين لنبوتهم لأنّهم بشر، حقاً، ولكن ليست البشرية مانعةً من النبوة، بل البشرية شرط في الرسالة إلى عامّة البشر، فإنّ سنّة الله جرت أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم، قال الله تعالى : قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (الإسراء: -٩٥).

و هذا الاستدلال و إن كان قريبا من القول بالموجب و لكنه هناك فرق بينهما، فالخصم في القول بالموجب قدعومل بخلاف قصده الواردعلى لسانه، أمّا مجاراة الخصم ففيه تسليم لبعض المقدّمات مع بيان أنّ هذه المقدّمات غيرمانعة من نقيض قصده.

٨. الاستدلال بالقصص القرآني:

من المعلوم أنّ القصّة وسيلة معروفة من وسائل القرآن الكريم في الإقناع و التأثير لما تصغي إليها الآذان و تميل النفوس و تجتذب القلوب، و بما أنّ كتاب الله يستهدف إرشاد الناس و هدايتهم في المقام الأول، فربّما

يسوق ضمن القصّة أدلّة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان.

و قد يكون موضوع القصّة رسولا يعرفون قدره و مكانته كما كان معظم العرب يعظّمون إبراهيم عليه السلام و يزعمون أنّهم على ملّته، فمجئ الدليل على لسان رسول يقرّ بفضله المخالفون يعطيه قوّة إضافية إذ أقيمت عليهم الحجّة من جهتين : من جهة قوّة الدليل الذاتية و من جهة أنّ الذي قاله رسول أمين يعرفونه و يّدعون اتّباعه، ففيه إلزام و إفحام لهم، و لذلك أورد القرآن الكريم قصّة إبراهيم عليه السلام مع قومه في إبطال عبادة الكواكب، و مجادلته للنمرود في إثبات وحدانية اللّه؛ ليكون دليلا على صدق أنبياء اللّه ورسله فيما جاءوا به من دعوة للتوحيد و ردّ للشرك بصفة عامة، وعلى صدق نبيّنا محمد صلى اللّه عليه وسلّم بصفة خاصة.

٩. إثبات كذب الخصم في مدّعاه:

و مثاله قول اللّه تعالى في بيان دعوى اليهود و ردّه عليهم : وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (البقرة:٨٠).

فكأنّ القرآن الكريم قال لهم : تدّعون بأنّ النّار لاتمسُّكم إلا بقدر الأيام التي عبدتم فيها العجل كما قال بعض المفسّرين، فدعواكم هذه لاتخلو من أحد الأمرين: إمّا أن يكون عندكم عهد من اللّه و ميثاق فأتوا به، و إمّا أن يكون قولكم هذا تقوّلا على اللّه بلا علم، و هو نوع بديع من أنواع الجدل لأنّ فيه قطعا للخصم وإفحاما له.

١٠. الاستدلال على الخصم بإظهار التشهّي و التحكّم:

بهذا الأسلوب يُردّ على الخصم فيقال له بأنّه لادليل لك في دعواك سوى التشهّي و التحكّم بالباطل، فإن جاءك ما يوافق هواك قبلته، و إن جاءك ما يخالف هواك رددته، و من أمثلته قوله عزّ و جلّ : أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ (البقرة: ٨٥). و الاحتجاج بمثل هذا مفحم و ملزم للخصم إذ لايجد الإجابة عنه.

١١ ـ الاستدلال بوجود الأثر على المؤثر:

كما فعل إبراهيم عليه الصلاة و السلام، إذ ناظر أصحاب الهياكل و عبدة الكواكب و النجوم، و استدلّ على وجود الله واستحقاقه للعبادة وحده، بآثار ما أوجده الله لخلقه حيث قال تعالى: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ إلى قوله تعالى: وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (الأنعام ٧٥ـ ٧٩).

فقد جعل إبراهيم عليه السلام غياب الكواكب و القمر والشمس دليلا على أنّها ليست بآلهة لحدوثها فتكون محتاجة إلى محدث لا يكون حادثا، و إلاّ لزم الدور و التسلسل، و هذا ممتنع قطعا، فثبت أنّ هنالك إلها واحدا و هو الخالق المدبّر و هو المستحقّ للعبادة و ما دونه فهو من مخلوقاته.

١٢ ـ إلزام الخصم بما يعترف به:

و ذلك كقول الله تعالى في الردّ على المشركين و إثبات ضعف معبوداتهم الباطلة و هوانها إذ قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (الحج: ٧٣).

١٣ ـ إفحام الخصم ببيان أنّ دعواه تلزمه القول بما لم يقل به أحد:

و مثاله قول الله تعالى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (الأنعام ١٠٠ـ ١٠١).

ما دام الله تعالى منزّهاً من أن تكون له صاحبة؛ إذ لم يقل به أحد حتى من ينسب إليه الولد يعتقد عدم وجود صاحبة له، فكيف يكون له ولد؟ إنّ التولّدَ يحصل بين اثنين، و هو سبحانه لا صاحبة له، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٤ ـ الاستدلال بالتحدي على صدق الدعوى:

و من ذلك ما تحدّى القرآن المشركين بعد ما شكّكوا في نسبته إلى

الله تعالى، و افتروا بأنّه من صنع البشر و تعلمّه النبيّ صلى الله عليه وسلم من معلّم أجنبي، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (النحل :١٠٣).

نقض القرآن الكريم دعوى المشركين بتحدّيهم أن يأتوا بمثله وهم أرباب البلاغة و ملوك البيان، إذا كان من صنع البشروقد تحداهم في مواضع متعددة، بل أعلن تحدّيه العام للثقلين فقال : قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (الإسراء: ٨٨). تحدّاهم القرآن الكريم فعجزوا عن محاكاته فثبت الإعجاز، و اتّضح صدقُ صاحب الإعجاز. فيبقى القرآن الكريم معجزة خالدة تتحدى الأجيال قرناً بعد قرن إلى أن يرث الله الأرضَ و من عليها.

انفراد القرآن الكريم بأساليبه الجدلية

ما ينبغي لنا أن نقارن بين منهج القرآن و منهج اليونان في الاستدلال، فإنّه لامحل للموازنة بين أسلوب القرآن و أيّ أسلوب آخرَ من أساليب البشر؛ لأنّ القرآن الكريم يعجزعن مجاراته الطوق البشريّ و قوة النبوغ الإنساني؛ ولذلك تحدّيه قائم إلى قيام الساعة، و لكننا نريد فقط أن نشير إلى بعض الخصائص الجدلية التي ينفرد بها القرآن الكريم دون أن يشاركه فيها غيره.

أولا - نزل القرآن الكريم بالشريعة الأبدية التي بعث الله بها النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة إلى يوم القيامة. فلأن يبقى حجّة خالدة على مرّ الدهور و العصور، كان لابدّ أن تكون حججه وبراهينه قائمة على أسس متينة من الإحكام و الإعجاز و متّصفةً بسمات الوضوح و البيان، بحيث تصلح لكلّ المستويات العقلية والفكرية؛ و لذلك تجد القرآن الكريم مملوءاً بالأدلّة الدامغة والمناهج العقلية الصحيحة التي تقنع الناس جميعاً، على اختلاف أصنافهم وتباين مداركهم، وجاء أسلوبه البيانيّ والفكريّ بحيث لايعلو على مدارك طائفة ولاينزل عن مدارك طائفة أخرى،

بل يصل إلى مدارك الجميع، يجد فيه الفيلسوف بغيته ، والمثقف مطلبه ، والعامة غايتهم، بينما نرى المنطق اليوناني تقصرعنه أفهام عامّة الناس؛ لاشتماله على التقسيمات المملّة والتفريعات المرهقة والتشقيقات المعقّدة التي لاتعدو أن تكون لدي العاميّ إلا ألفازا مبهمة فقط.

ثانياً - جدل المتكلمين يخاطب العقل فقط، لذلك يتّسم بالجفاف والتعقيد، ولا يعطي في الغالب ثمرة إيجابية ؛ لأنّ اليقين العقليّ لا يكفي وحده لدفع الناس إلى الالتزام ؛ إذ لا بدّ من أن يقترن هذا اليقين بدافع من الحبّ أو الخوف أو الرغبة أو الرهبة، وهذا هو منهج القرآن الكريم الذي لا يفصل بين الدليل العقلي والوازع القلبي والعاطفي، بل يقرن دائماً الترغيب والترهيب بأدلّة العقول النظر. فلنتأمّل مثلا في قول الله عزّ وجلّ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ، مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (سورة النساء :/ ١٤٥- ١٤٧) . فهو بعد أن توعّد المنافقين، استثنى منهم التائبين والمخلصين، ثمّ بيّن أنّه عزّ وجلّ غنيّ عن عذاب العالمين فلا شأن له بعذابكم ، إنّما قصده حمل المكلفين على فعل الحسن و اجتناب القبيح .

إنّ دعوة القرآن الكريم الرفيعة اللينة لتأخذ بالألباب ، وتدخل إلى الوجدان فتؤثّر في النفوس أيّما تأثير حتى إنّ تلك النفوس المرتكسة في غيّها تتفاعل فيها الأحاسيس والمشاعر عند سماع القرآن، وتوقن في قرارات أنفسها بأنّ هذا يعلو على أساليب البشر(مناهج الجدل للألمعي ص ٧٠).

وهذا ما وقع لكثير من المشركين عند سماع القرآن الكريم ، فقد سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب بالطور، فلمّا بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات : أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون ،أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا

يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (سورة الطور :/ ٣٤ – ٣٦) قال : كاد قلبي يطير، وذلك أوّل ما وقر الإسلام في قلبي.(البخاري في صحيحه رقم ٤٨٥٤).

ثالثا ـ أسلوب القرآن الكريم متميّز بميزة الإعجاز والتحدّى في مبناه ومعناه، وليس بمقدور البشر أن ينقض حججه وبراهينه التي تبني على إحكام النسق وروعة البيان وسلامة المنطق، أمّا قوانين المنطق اليوناني الجدلية ومناهجه الاستدلاليه فقد وضعها أرسطو لمجادلة الجماعة السفسطائية التي كانت تنكر الحقائق وتلبسها لباس الباطل، وما دامت هذه القواعد من صنع الانسان فهي بالطبع ليست سليمة من الخطأ والسقم والركاكة ومعرّضةً للنقض والإبطال بصورة دائمة.

رابعا ـ المجادلة بالأدلّة القرآنية التي تحمل في طيّاتها صور الفصاحة و البلاغة، و قوّة التعبير، و صحّة الاستدلال، فإنّ المجادلة بها تأتي دائما بالنتيجة الإيجابية بشكل أو آخر، و لكنّ الاعتماد على القواعد المنطقية لا يضمن لصاحبها تحقيق الهدف المنشود؛ لأنّ الاسترسال فيها قد يجرّ إلى سرعة هدمها و نقضها بأقلّ تشكيك في سلامة بنائها فتتحول إلى جدل عقيم، ضررها أكبر من نفعها.

فطريقة القرآن الكريم في الاستدلال و الإقناع أولى و أبلغ ، ولهذا قال أبو عبد الله الرازي في آخر عمره في كتابه "أقسام اللذات" كما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه " الردّ على المنطقيين " قال : " لقد تأمّلت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا و لا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق الكلامية طريقةَ القرآن الكريم"، إقرأ في الإثبات : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"(طه : ٥) و " إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ "(فاطر:١٠) و اقرأ في النفي : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى:١١) "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" (طه: ١١٠) و من جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي (الردّ على المنطقيين ص ٣٢١).

دفع إشكال

و قبل إنهاء الكلام عن الخصائص المميزة للأساليب الجدلية في القرآن الكريم، أودّ دفع إشكال ربّما يتبادر إلى بعض الأذهان وهو: لو فرضنا أنّ المناهج الاستدلالية في القرآن الكريم قد اتّفقت مع بعض القواعد المنطقية في نتائج صحيحة، فهل هذا يدلّ على أنّ القرآن الكريم سلك في استدلاله منهج المنطق اليوناني ؟ كلا! بل كلّ ما في الأمر أنّ ذلك يدلّ على توافق الحقّ في الاستدلال الصحيح، و المنطق اليوناني فيه الحقّ و الباطل، فلا ضير أن يلتقي الحقّ في نتيجة صحيحة إلا أنّ القرآن الكريم يمتاز بأسلوبه ومناهجه، فيعلو بها عن سائر الأشكال المنطقية و الطرق الجدلية العقيمة.

كلمة أخيرة

و أرى من المناسب أن أختم هذه الجولة السريعة حول الموضوع بكلمة أخيرة ، و هي أن المتحاور الذي يريد تحقيق هدفه من إثراء الفهم المتبادل، وترسيخ قيمة التعاون بين البشر، و الدعوة إلى الله، فخير وسيلة له أن يأخذ من الأساليب القرآنية منهجا له؛ ليحفظ نفسه من الزلل و يصل إلى غايته بأقصر طرق .

فالقرآن الكريم كما يقول الكثير من أهل العلم: كتاب حوار بين الحق والباطل، بين أهل الإيمان وأهل الضلال، وقد سرد لنا الكتاب الكريم في العديد من آياته كيف تم الحوار بين الأنبياء وأقوامهم كما لاحظنا من خلال استعراض الأساليب الاستدلالية، وهي في الأساس دعوة إلى الحق وإلى الطريق القويم . و في نفس الوقت يلزم المتحاور أيضا أن يستفيد من تلك الأسس و الضوابط والآداب التي أفاض فيها الباحثون في أبحاثهم و مقالاتهم لإجراء الحوار مع الآخرين .

وصلى الله على سيدنا و نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين .

بائع من إفريقيا هز أساطين القساوسة وأركان الكنيسة

الأستاذ محمد عبد الكريم الهدوي (كيرالا) الهند

(الحلقة الأخيرة)

منهجه في الدعوة الإسلامية والمناظرة :

كان الأستاذ أحمد ديدات، ممن فتح باب الحوار المفتوح مع النصارى، وله منهج واضح في القيام بالدعوة الإسلامية. وكان المسلمون إلى حاجة ماسة إلى هذه المناهج في عصر غلبت فيه الديانات الأخرى عليهم في مجال الماديات والتقنيات الحديثة. كان منهجه ذلك الذي قام به القرآن والسنة من الحوار[1]. وهذا النوع من الحوار والمناظرة لم يوجد البتة بعد العهد الإسلامي الأول إلا قليلا جدا، بسبب الحيلولة بين الإسلام والنصرانية التي استمرت لفترة طويلة والفجوة العميقة بينهما سباً وشتماً وتعصباً، وانطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] اتخذ قفزة جريئة وانخرط في خطاب ودي خالص القلب مع الديانات الأخرى مشيراً إلى مشاكل كتب النصارى واليهود، وكل هذا كان بعد أن أصبح متمكناً ومتبحراً ومحيطاً بالكتاب المقدس والتوراة إحاطة كاملة، وكان يرد عليهم بالإنجيل والتوراة نفسهما مثبتاً أخطاءهما التي تعرضا لها بسبب التدخلات البشرية بشكل منطقي و وضوح ، وسألا الخصم البراهين الدالة على مزاعمهم، ما يتذبذب أمامه كل عالم مسيحي لا يعلم عن كتابه إلا أمراً سطحياً.

[1] كان منهج القرآن والرسول أن يجري حوارا مفيدا مع زعماء اليهود والنصارى بغير اصطدام ولكن على سبيل المحبة والمودة فنجد في السيرة النبوية أن كثيرا من الوفود تأتي إلى النبي ويناقشون معه في المسيح والتثليب وأصحاب الكهف وغيرها ويستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد أو بيته، وقصة عبد الله بن سلام المشهورة مع النبي صلى الله عليه وسلم خير دليل لمثل هذه الأساليب الدعوية، أما القرآن فيقول (تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ) وقوله: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، وغيرها من الآيات القرآنية تدل على أن القرآن يفضل طريق الحوار.

[2] النحل ١٢٥

كان يرى أن الدعوة لا تجدي كثيرا إلا إذا ذهبنا إلى غير المسلمين وخالطناهم واستمعنا إليهم، كما يقول في افتتاح خطابه ومناظراته "أنه ليس في العالم مجتمع غير مسيحي يجب عليهم أن يؤمنوا بعيسى عليه السلام ويحترمه إلا مجتمع المسلمين، ومن شروط الإيمان أن يؤمن الإنسان بجميع الرسل ممن فيهم عيسى عليه السلام. حتى يتمكن له من التخطى عن المرحلة الصعبة في مجال الدعوة وهي التفاهم الإيجابي بين الخصمين .

وقد ساعده هذا المنهج في تخفيف وإزالة الأفهام الخاطئة السائرة في الغرب فيما يخص المسلمين من التطرف والتشدد والجهاد، واستطاع من خلاله أن يقوم أيضا بإعطاء توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم الراشدة وتعليماته أثناء مناظرته معهم مراعياً كل الاحترام للمعارضة مما يترك في قلب خصمه أثراً إيجابياً كبيراً في الإسلام، وكم من قساوس النصارى تراهم يبدأون خطابهم بقولهم "أحب ديدات كثيرا" "أنا أحترمه" "ديدات من النوع الذي إذا تكلمت معه تقع في حبه". نعم، أحبوه واحترموه واستمعوا إليه فأحبوا القرآن واحترموه واستمعوا إليه بتشوق فتأملوا فيه، وعدد كثير منهم اعتنقوا الإسلام، ويا له من حظ ما بعده حظ، حيث إن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يطلبا من داعية إلا هذه الصفات المحمودة. ولكنه لم يكن ممن يلين في إظهار الحق أمامهم ، وقد قال : "يجب أن تكون الدعوة كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وجّه إليها القرآن ويجب أن تكون في عقر دارها وأمام الناس علناً لا سراً ، لأن لعامة الناس أيضا حقاً لأن يعرفوا ما هو الحق والباطل"

فقام بالمناظرات الودية في مقار النصارى مع القساوسة المشهورة عالمياً في قاعات مفتوحة ملتزماً بشرائط معينة يتفق عليها الخطيبان من الفئتين وارتحل من دولة إلى دولة حتى ردهم الصاع صاعين والكيل كيلين... وقد قام بكثير من الطرق الجديدة لجذب غير المسلمين، مثل خطة السياحة وتوزيع القرآن مصحوباً بتراجمه والكتب والكتيبات والنشرات بين الناس مجانا.[٣] فيستطيع أن نرى أن الحوار بين الإسلام والنصارى في الغرب تعزز بعد

[٣] http://www.ipci.co.za/about/

خمسينات القرن الماضي، وكذلك أصبح الإسلام الذي كان محط الإهانة والاحتقار أكبر الأديان انتشاراً وقبولاً في الغرب.[٤] ترى اليوم كثيراً ممن اعتنقوا الإسلام من خلفيات مختلفة يصيرون دعاة فعالين[٥] وكان للشيخ أحمد ديدات دور كبير في تحويل هذا الجو البغيض إلى الجو الودود بدرجة كبيرة.

فهذا الأسلوب في الدعوة كان يقلق أكابر النصارى واليهود في أوربا، لم تمض سنوات في مسير دعوته أن تعرض لتنقيدات ومراقبات وأصبح قذى في عيون علماء النصارى وقساوسة العالم لأنه كان يقوم بجولات وصولات باسلة طول العالم من أقصاه إلى أدناه، مجادلا مع أكابرهم، ويُحشد جم غفير من الناس ويُسحرون بمحاضراته، وخطبه، ويروحون عن أنفسهم بحضوره، فالبعثات التبشيرية ما قامت بتخطيط أمورهم إلا ولأحمد ديدات فيها حظ وافر من طرق مواجهته، لأنهم كانوا يعدونه من أخطر المدافع عن الإسلام ، فاضطر المبشر المسيحي من معرفة أعماله الدعوية والإلمام عن تحليله المقنع بلسانهم السلس الطليق، تمهر في اللغة الإنجليزية لأجل نشر الإسلام بين أصحابها وإزالة الحجب المخيمة على أدمغتهم من أباطيل وشبهات من دون أن يدع مجالا للغموض والتشكك ، وله في ذلك أسوة حسنة في الرسل الكرام ، لأن الله قال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ، فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.[٦]

والتكبر عند المتكبر صدقة. كان أحمد ديدات لم يخف أحدا في سبيل الحق وكانت كلمته مليئة بالشجاعة حينما قام ثلاثة أساقفة في باكستان يتحدونه ويصغرونه ، ولكنهم لم يحضروا في اللقاء معه في محاضرة حتى غضب غضبا شديدا. وإليكم نص تلك الخطبة التي وجه في فاتحتها مخاطبا إلى هؤلاء القساوسة الجبان كلاما لاذعا فقال:

"الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، اللهم يا مفتح

---

[٤] CNN, World News, /http://edition.cnn.com/WORLD/9704/14/Egypt.islam April 14, 1997

[٥] ومن أكبر المحاضرين على الإسلام المعتنقين الإسلام الشيخ يوسف ايستس، الشيخ حمزة يوسف، الشيخ عبد الرحمن جرين، الشيخ خالد ياسين، السيدة لورن بورت، السيدة إنكرد ماتسن وكثير غيرهم

[٦] إبراهيم ٤

الأبواب، ويا مسبب الأسباب، ويا دليل الحائرين، توكلت عليك يا رب العالمين. وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، إن الدين عند الله الإسلام، صدق الله...وبعد.

إخوتي الأعزاء...قبل أن نتبحر في موضوع المحاضرة، أود أن أنادي ثلاثة أسماء، أولهم السيد القس روني ديسوزا، مسئول كنيسة الروم الكاثوليكية، ولو كان هذا القس متواجدا في هذه القاعة فسنكون في غاية السعادة إن عرفنا بنفسه، فأرجو أن ترفع يدك إن كنت موجوداً بين الجمهور...وهل هناك إيمانول شريفي والقس جوزاف هيراسنج، مسئول منظمة وليفير المسيحية ؟ هل هما موجودان هنا ؟ أليسوا هنا ؟ (يسأل الحاضرين في القاعة ثم يتابع) أن هؤلآء الثلاثة – هذا الثالوث الغير المقدس- ثلاثة في واحدة، أما القس روني ديسوزا فقد أرسل لي قصاصة من ورق ، وبها كلمات معينة وضع تحتها خطوطا أرادني أن أجيب عليها. أما سبب استدعائي إياه هنا في هذه القاعة حاليا هو أنه إذا كان يوجد هنا فنعطيه الفرصة لكي يكون أول من يسأل بعد انتهاء المحاضرة عما سألنا إياها بشكل قصاصة من جريدة، ولكنه ليس من المعقول تضييع الوقت بهذه الأسئلة لكونه غائبا ، وكان هناك مقال نشرته جريدة الجانج للأمس كتبه شخص يدعى إيمانول وجوزف، وهؤلاء السادة يتحدونني في محاضرات علنية في كل باكستان ويريدون أن يظهروا في تليفزيون باكستان وأن يناظروني في كراشي ولاهور وإسلام آباد. ولذا أسأل إن كانوا موجودين هنا فكان بإمكاني أن أخاطبهم مباشرة، ولكنني أسأل من هم هؤلاء الأشخاص ؟ أناس لا أعرفهم ولا أعرف عن عملهم ؟ وماذا صفتهم ؟ أهم قساوسة أو كهان أو حاخامات أو أي شيئ آخر؟ وهم يتسللون إلى الإعلام ويطلبون المناظرة، أريد أن أقول لهم: إن قداسة بابا الفاتيكان في روما قد انسحب من المواجهة، وحين كنت في أمريكا قد عرضت على المبشرين المشهورين الذين يظهرون في التلفاز مثل جيمي سواجارت بيلي جراهم وجيري فلوروبات روبتسن ممن لهم قيمة ووزن ، عشرة آلاف دولار

للقاء واحد فقلت لهم : سأعرض عليكم أربع لقاءات في الولايات المتحدة على حسابي وسأعطيكم عشرة آلاف دولار للقاء واحد فقط كي تأتوا إلي وتتحدثوا معي في التلفاز أمام الناس ولكنهم انسحبوا خوفاً، والآن يأتي هؤلاء الأشبة بعرائس الأطفال ويريدون أن يتحدثوا معي، إنما يريدون أن يحصلوا على تلك المتعة كي يقولوا يوما إنهم وقفوا على المنصة نفسها مع السيد أحمد ديدات مثلما نشاهد في هذه الصورة (وهو يرفع صورة أمام الحاضرين) التي جاءت في صحيفة الفجر لهذا اليوم، هذه صورة للملاكم المشهور محمد علي، يقف مع ولد من أولاد المدارس، وهذا الولد يقف في وضعية الملاكم.محمد علي والآن هذا الولد قد أصبح مشهورا فقط لوقوفه أمام الملاكم في وضع القتال ونحن نعرف أن محمدعلي لو نفخ فيه لقتله ولكنه يمكنه أن يخبر أولاده وأحفاده عن هذا الموقف العظيم، وأنا أقول لكم: أحضروا لي كبار أساقفكم في كراتشي سواء كانوا انجليين أو لوثرين أو بروتاستنتين أو أيا ما كان لديكم، أو أحضروا لي آباءكم الروحيين من انجلترا أو أمريكا وأنا مستعد لأن أدفع لهم تذكرة الطيران والإقامة والفنادق، أرجو من النصارى أن يوجد أحد منهم في هذه القاعة أن يوجه هذه الرسالة لمجتمعاتكم ويقول: إن ديدات مستعد دوما للمناظرة ولكن بشرط أن أحضروا شيئا يستحق بمقامي وحجمي...."[٧]

إنجازات أحمد ديدات في الدعوة الإسلامية:

- كرس حياته أكثر من أربعين سنة في مجال نشر الإسلام ودعوته لغير المسلمين.
- قام بإصدار عشرين كتاباً على مختلف المواضيع المتعلقة بالإسلام ووزع آلافاً من النسخ بين الناس مجانا.[٨]

---

[٧] محاضرة بباكستان

[٨] وإلى جانب هذه المحاضرات والخطب كان يقوم بإصدار الكتب المطبوعة يتناول فيها تكنيكات دعوية والمناهج المتبعة، ومن الجدير بالذكر أنه لم يقم بحفظ حقوق الكتب والفيديوهات الخاصة به ولكنه تنازل عنها لكي يستطيع كل من يرغب فيها أن ينشر ويستفيد إلا أنه يريد أن تبقى له ذخرة يوم القيامة وشاهدة له في ميزان حسناته. وهناك عشرون كتابا قام بطبعها وطبعت منها آلاف النسخ ووزعها عبر العالم بين المسلمين وغير المسلمين. وقد تم ترجمة كثير من كتبه إلى العربية ونشرت

➢ قام بمناظرة مجدية وناجحة[٩] مع كثير من كبار القساوسة النصرانية العالمية في مختلف أنحاء العالم إلى جانب المحاضرات القيمة والحوارات في مواضيع مختلفة تتعلق بالإسلام.

محاضراته ومناظراته القيمة أيضا في هيئة الكتاب وهي متوافرة في الشبكة العنكبوتية للتحميل.
الرابط: http://www.al-maktabeh.com/ar/catplay.php?catsmktba=43

[٩] عناوين المناظرات مع الشخصيات البارزة وروابطها للاستماع إليها في الشبكة العنكبوتية.

١) أحمد ديدات وأنيس شروش، (Dr. Annis Sharoosh)، الموضوع: هل يسوع جيسس عيسى إله؟ المقر: رويال البرت هال، لندن، التاريخ ١٥/ديسمبر/١٩٨٥، و ١٩٨٨ في مقر برمنغهام، الرابط:

٢) https://www.youtube.com/watch?v=13ArMWmWIXg
https://www.youtube.com/ watch?v=DW5TIWkVmmc

٣) أحمد ديدات وجيمي سوجارت (Jimmy Swagart)، من أكبر المبشرين شهرة في ذلك الوقت، كان يظهر على ألفي محطة تلفزيونية في العالم وهذه المناظرة جلبت لديدات شهرة واسعة في أمريكا والدول العربية بعد إذاعتها في تليفزيون عربي بعد ترجمتها إلى العربية، الموضوع: هل الإنجيل كلام الله؟ المقر: أمريكا، في جامعة لويسيانا، التاريخ ١٩٨٦، حضر المناظرة ما يقارب ٨٠٠٠٠ شخصا،
الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=DEW9QMzjubc

٤) أحمد ديدات وباستر ستانلي سوبرج (Pastor Stanley Sjoberg)، الموضوع:هل الإنجيل كلام الله في الحقيقة؟ المقر: سكانتناويا عام ١٩٩١، الرابط:

٥) https://www.youtube.com/watch?v=PcbyWu_Ykz4

٦) أحمد ديدات وروبرت دوكلاس (Robert Duglas)، الموضوع: صلب المسيح حقيقة أم خيال؟
الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=A5Lr7MME1rU

٧) أحمد ديدات وفرويد إي. كلارك (Frauiid E. Clark) الموضوع: هل صلب المسيح عيسى؟
الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=kzZHR11zBaw

٨) أحمد ديدات وجوش ماك دول (Joshmark Duel) الموضوع: هل صلب المسيح؟
الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=nEJOiDHI1J4

٩) أحمد ديدات وإيريك بوك (Pastor Eric Bock) الموضوع: هل المسيح الله، المقر: دمارك، التاريخ ٢/نومبر/١٩٩١م، نفس الرابط:

- قام بإنشاء المركز الدولي للدعوة الإسلامية.
- اعتنق[10] ٦٠،٠٠٠ ألف شخص الإسلام بيده مباشرا حيث إن هناك كثيرون لا حصر لهم بطريق غير مباشر بسبب محاضراته المتوفرة في الشبكة العنكبوتية والقرص المدجمة وكتبه، وأصبحوا دعاته بمجهوداته المضنية في مجال الدعوة الإسلامية.
- تقديراً وتقييماً لإنجازاته الثمينة وإسهاماته النيرة في تعزيز الإسلام وتقويته ونشره حصل على جائزة فيصل عام ١٩٨٦ وكرمه بلقب "الأستاذ".

المركز الدولي للدعوة الإسلامية

PROPAGATION COUNCIL(IPCI) INTERNATIONAL ISLAMIC

أنشأه الأستاذ أحمد ديدات توسعا لنطاق دعوته الإسلامية المنظمة عام ١٩٥٦، في مدينة ديربان. ثم شهد هذا المركز تطوراً ملحوظاً ونمواً كبيراً بتبرعات الأسخياء العرب الحريصين على الإسلام حيث تمكن له من توسعة نطاقه الدعوي ونشاطاته الدعوية حتى أصبح الآن من أكبر المراكز العالمية الدعوية بتمكينات عالية المستوى، ولها مكتبة ومطبعة خاصة بها.

---

١٠) أحمد ديدات وويك فيلد (Evangelist of Canada, Bishop General Wakefield)، الموضوع: هل صلب المسيح عيسى عليه السلام؟ المقر: كاندا، مافل ليف كاردنز، تورونتو، التاريخ: ١٧/يوليو/١٩٩٤، الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=5TcZOtGCdLw

١١) أحمد ديدات وجاري ميلر (Gary Miller)، الموضوع: الإسلام والمسيحية، المقر: ستاد ويستبريد ج بارك، جنوب أفريقيا، التاريخ: ٩/سبتمبر/١٩٨٤، الرابط:

١٢) https://www.youtube.com/watch?v=8cgz3QXcpRU

١٣) أحمد ديدات وبول فراندلي (Paul Findley)،

١٤) https://www.youtube.com/watch?v=kzOe-cyyWII.

بالإضافة إلى ذلك فإنه تحدى جون بول الثاني الذي نصح المسلمين لخلق العلاقة الوثيقة والحوار بين الإسلام والنصارى عام ١٩٨٤ لمناظرة علنية أمام الحضور في "وتيكان سكوبر" ولكنه أعرض عنه ولم يجرأ لقبول التحدي فقام ديدات بإصدار كتيبة عام ١٩٨٥ بعنوان His Holiness Plays Hide and Seek With Muslims.

١٠ أحمد ديدات حياته ونشاطه ومناظراته، ص: ٨

ونخبة من المتخصصين والمدربين المحترفين يعملون ليل نهار. يدير دورة تدريبية في مقارنة الديانات لطلبة في جميع أنحاء العالم لفترة معينة لم يزل يجذب كثيرا من الطلاب من الدول العربية والإفريقية.

أهداف المركز:

- تقوية وتمكين الجاليات بواسطة تعزيز الأعمال والمبادئ الأخلاقية.
- خلق الجسر بين المعتقدات المختلفة للتفاهم والتضامن الاجتماعي.
- تقديم الإسلام في صورته الحقيقية والصافية.

الخاتمة:

العصور برجالها، ولا يأتي التطور والترقي لقوم من فراغ وإنما هو كسب أهل ذلك الزمان يأتي بالنتائج سلباً وإيجاباً. ديدات رحمه الله، كان ممن أرى المسلمين منحى جديدا للدعوة المفيدة، أحيى حياته من أجل الإسلام والقرآن، آمن بكل قلبه أنه يجب عليه ليس فقط الإيمان بهما بل إعطاؤهما حقهما الذي يستحقانه نشراً وتعليماً بين الناس من غير المسلمين الذين لم يصل إليهم الدعوة الصحيحة وإخطارهم عن خطورة الأمر العالق بالإنسان في الدنيا والآخرة، والذين لا زالوا ضحايا الأوهام الخاطئة المستشرية عن الإسلام والقرآن منذ فترة طويلة مصداقاً لقوله تعالى (قم فأنذر)[11]

وانتقل عنا بجسده مادياً جاعلا الجيل الناشئ بعده شاكي السلاح للدعوة الإسلامية بكل ما تمكن من الوسائل الحديثة ولا بد أن تبقى تلك الحمية الروحية والغيرة الدينية في قلب كل مسلم، ولا بد له أيضا أن ينهض بذلك العبء ويحمله على كتفه بدون تقصير بهمة متزايدة لتشتعل تلك الجذوة المتقدة أكثر إضاءة وجمالا لتطلع شمس الإسلام وتسطع، وتستفيد منها البشرية في كل حدب وصوب شرقاً وغرباً... وإلا، لنكون ظالمين تلك الشخصية الكبيرة والجليلة الذي شمر عن ساعديه لعلو الإسلام، وعلينا أيضا نشر بصماته الشخصية والدعوية المتسمة بالصدق والأمانة والتحقيق

[11] سورة المدثر، الآية ٢

والنية المخلصة بين المسلمين وغير المسلمين، كم يكون ذلك الإيمان الذي أبكاه حر البكاء من على السرير عندما زاره في بيته "بويرولام" رجل سعودي[١٢] حين مرضه وأخبره أنه من المدينة، حنينا إلى المدينة المنورة التي هي مرقد نبيه صلى الله عليه وسلم الذي أثبت بكل ما لديه من قوة عظمته ونبوته في المنابر وجعل معارضيه محبيه، وهو في هذا المجال موسوعة قيمة للدعاة وغير المسلمين الحريصين على معرفة الإسلام والنصرانية الصحيحة، لم يكن يهتم فقط بالنصرانية بل عالج كل الديانات المهمة من الهندوس واليهودية وغيرها بالوزن نفسه الذي عالج به النصرانية ولكن أكثر اهتمامه كان موجها إلى النصرانية التي تستهدف المسلمين وجل كتبه ومحاضراته ومناظراته متوافرة على شبكة الإنترنت. ولا شك في أنه تمتلئ عين كل مسلم حريص على الإسلام بالدمع حين يرى هذا الشيخ المتقدم في السن يناظر مع كبار القساوسة مدافعاً عن إسلامه بكل عزم وقوة، لا ترى على وجهه مسحة من التردد والارتباك بينما ينتظر دوره ولكنه بلحيته البيضاء وظرافته وابتسامته الوديعة التي لا تفارق عنه والقلنسوة البيضاء التي تستريح على رأسه المحلوق على الدوام مرتفعة قليلا إلى ناصيته يجلس في مكانه وكأنه مسلح بالحجة الدامغة وجعبته مملوءة بالسهام الصائبة، منصتا إلى كلمات خصمه ليصارعه لتوه.. ويا له من قوة تتولد منه في دوره لا ترى فيها آثار الشيخوخة الطاعنة السن حين يقوم أمام مكبر الصوت ويلقي كلماته منضبطة محددة المعالم وكأنه فارس من فرسان الكلمة.... يمكنكم أن تروا كل مرة يحاضر ويناظر يرفع القرآن عاليا ويقول هذا من عند الله، لتبقى كلمة الله هي العليا... تغمده الله بواسع رحمته ونفعنا بعلومه وجمعنا معه في جنات النعيم.

---

[١٢] مقالة "مع الداعية أحمد ديدات" للدكتور عبد الله قادري الأهدل، مأخوذة من سلسلة "في المشارق والمغارب" ونشرها بتاريخ ١٩٩٩/٧/٣، في الموقع www.saaid.net/Doat/ahdal/h٠.htm.

المديح النبوي والقصيدة العنبرية للسيد صديق حسن خان

(الحلقة الأولى)

د/ عبيدالرحمن طيب[1]

من طبائع البشر أنه يمدح غيره معبوده أو حبيبه إما حبا واخلاصا له وفداء عليه أو عرفانا وتقديرا وشكرا لما أنعم عليه أو طمعا في منفعة وخير أو إتقاء من ضر وشر. وكذلك يحب المرء أن يمدحه ويثنى عليه الناس بما ينجزه من أعمال جليلة، وظل المدح أو المديح فنا محببا في الآداب العالمية منذ قديم الزمان ولعله اكتسب أهمية قصوى في الأدب العربي إذ يتميز من الآداب الأخرى في فن المديح وله تاريخ رائع طويل فيه.

وقد قسم الأدباء والنقاد الأدب العربي إلى عدة أقسام حسب الموضوع، مثل المديح والرثاء والهجاء والنسيب ويقول أبوهلال العسكري : "وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح والهجاء والوصف والتشبيه والمراثي حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً وهوالاعتذار فأحسن فيه " وهو تقسيم جيد غير أنه نسي باب الحماسة وهو أكثر موضوعات الشعر دوراناً على لسانهم"[2] ويدل هذا على أن المديح كان من الموضوعات الهامة في العصر الجاهلي واستمر كذلك في العصور التالية وكان من عادة الشعراء انهم يقرضون المدائح للملوك والحكام ويحضرون بلاطهم وينشدون أشعارهم ويحصلون على جوائز وهدايا حتى إنه كانت تجري منافسة فيما بينهم لكي يقدم كل منهم أحسن مديح ويحصل على أول مكانة لدى الملك أو الحاكم، وبالنسبة للمديح النبوي فهو أمر نسبي فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتل مكانة مرموقة في قومه قبل بزوغ الاسلام كما كان محترما لدى كافة الناس في ذلك الحين ولما بعث نبيا ورسولا من الله سبحانه وأعلن عن نبوته فآمن به من آمن وعانده من عاند. ويروى أن ورقة بن نوفل العالم المسيحي وهو من حنفاء أهل مكة قرض أول قصيدة في مدحه:

---

[1] الاستاذ المساعد بمركز الدراسات العربية والإفريقية ، كلية اللغات ، جامعة جواهرلال نهرو- نيودلهي

[2] نقلا عن تاريخ الأدب العربي : شوقي ضيف ، ج١ /ص ١٩٥- ١٩٦

لججت وكنت في ذكرى لجوجا : لهمّ طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف : فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي : حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس : من الرهبان يكره أن يعوجا
بأن محمدا سيسود فينا : ويخصم من يكون له حجيجا[٣]

وقد قرض ابوطالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأكبر مدافعيه ومناصريه في مكة، كثيرا من الأشعار في مدح محمد صلى الله عليه وسلم متحديا كفرة ومشركي مكة وأعداء الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أشعاره :

إذ اجتمعت يوما قريش لمفخر : فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت اشراف عبد منافها : ففي هاشم اشرافها وقديمها
فإن فخرت يوما فإن محمدا : هو مصطفى من سرها وكريمها[٤]

ويضيف الشيخ عبدالله عباس الندوي قائلا :

لما جاء وفد من قريش مطالبا أبا طالب تسليم محمد صلى الله عليه وسلم إياهم أو التنحى عن الدفاع عنه فقرض بعض الأشعار:

كذبتم وبيت الله نترك مكة : ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا : ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله : ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٥]

وروى عن الأعشى وهو من كبار الشعراء الجاهليين أنه لما سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم قرض قصيدة رائعة في مدحه وتوجه إلى مكة قاصدا إياه لكي يعرض قصيدته على النبي صلى الله عليه وسلم ويحصل على بعض المكاسب المادية إلا أن أباسفيان سيد قريش مكة لما علم عن قصده تشاور مع بعض أصحابه ولقي الشاعر في ضواحي مكة ومنح كثيرا

[٣] عهد رسالت مين نعت : ارشاد شاكر أعوان ، مجلس ترقي أدب ، شارع كلب، لاهور (الباكستان) الطبعة الأولى ، يناير ١٩٩٣م ص:٣٨- ٣٩
[٤] عهد رسالت مين نعت : ارشاد شاكر أعوان ، ص:٧٩
[٥] عربي مين نعتيه كلام :عبدالله عباس الندوي ، ص : ٣٦- ٣٧

من الإبل لئلا يحضر النبي حتى يشيع كلامه في العرب ويميل الناس إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ونجح أبو سفيان في خطته وإرجاع هذا الشاعر، إلا أن التاريخ احتفظ بهذه القصيدة في سجله، فأول بيت لقصيدته يستهل كما يلي :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا : وعادك ما عاد السليم المُسَهَّدا

ثم يقول :

فآليت لا أرثي لها من كلالة : ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لاترون وذكره : أغار لعمري في البلاد وأنجدا[٦]

ولما هاجر النبي صلى الله عليه إلى يثرب (المدينة المنورة) وبدأ الشعراء المشركون يؤذونه بكلامهم قال لأصحابه ماذا حصل لمن نصروني بالسيف أن ينصروني بكلامهم فنهضت جماعة من الشعراء للدفاع عنه وكان لثلاثة منهم أهمية كبرى في تاريخ المديح النبوي وهم كعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة. وهم الذين خصهم الرسول الله عليه وسلم للرد على الشعراء المشركين وقد أشار إلى هذا الجانب الشيخ سعيد الرحمن الأعظمي في إحدى مقالاته قائلا :" اختارهم النبي صلى الله عليه وسلم للدفاع عن الاسلام بشعرهم، وهم كعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة، اختارهم للرد على مهاجاة شعراء قريش الخمسة الذين كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم ويقاومون شعراءه، وهم عبدالله الزبعري، وأبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعمرو بن العاصي، وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب."[٧]

ولكن من بين هؤلاء الثلاثة نال حسان بن ثابت (٦٠ ق هـ – ٥٤ هـ الموافق ٥٦٣ – ٦٧٤ م) درجة شاعر الرسول وأصبح قدوة وأسوة لمن جاء بعده من الشعراء، يكتب عنه شوقي ضيف : "وبحق سُمّي حسان شاعر الاسلام ورسوله الكريم، فقد عاش يناضل عنه أعداءه من قريش واليهود ومشركي العرب راميا لهم جميعا بسهام مصمية، وقصته مع الحارث بن

٦ المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ص:١٩

٧ أدب المخضرمين في تاريخ آداب اللغة العربية" : الشيخ سعيد الرحمن الأعظمي، البعث الاسلامي، العدد ٣، المجلد ٢٨، ص:٧٣

عوف المُري حين قتل في جواره داع من دعاة الرسول مشهورة، فقد قال فيه وفي عشيرته:

إن تغدر فالغدر منكم شيمة : والغدر ينبت في أصول السَّخْبَر

وبكى الحارث من هجائه له بدموع غزار، واستجار بالرسول متوسلا إليه أن يكفه عنه.[٨]

وله قصائد كثيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي قصيدته الهمزية التي يخاطب فيها أبا سفيان بن الحارث يقول كما يلي :

هجوت محمدا فأجبت عنه : وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي : لعرض محمد منك وقاء

يقول :

ألا أبلغ أبا سفيان عني : فأنت مجوّف نخب هواء

بأن سيوفنا تركتك عبدا : وعبدالدار سادتها الإماء

وما أحسن ما قال حسان :

وأحسن منك لم ترقط عيني : وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءاً من كل عيب : كأنك قد خُلقت كما تشاء

ومن أروع ما أبدع حسان بن ثابت في قوله :

وضم الاله اسم النبي إلى اسمه : إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشقّ له من إسمه ليجلّه : فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أبرز ممن نالوا قبولا واسعا وشرفا كبيرا وسعادة أبدية بعد الغواية والضلال والهجاء اللاذع الشاعر الفذ كعب بن زهير، وقرض كعب قصيدة غراء في مدح الرسول ص وفيها ٥١ بيتا. وكتب عنه الدكتور شوقي ضيف :"ومازال كعب على وثنيته حتى فتحت مكة وانصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من الطائف، فكتب إليه بجير أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل كل من آذاه من شعراء المشركين إلا من اعلنوا اسلامهم ودعاه أن يقدم على رسول الله تائباً. وشرح الله صدره للإسلام فقدم المدينة وبدأ بأبي بكر، فوقع من نفسه فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح

٨ تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف ، ج٢/ ص ٧٩

جاء به وهو متلثم بعمامته، فقال: يارسول الله ! هذا رجل جاء يبايعك على الاسلام فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده، فحسر كعب عن وجهه وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول الله ! أنا كعب بن زهير. فتهجمته الأنصار وغلظت له، لذكره قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبت المهاجرة أن يسلم ويؤمنه النبي صلى الله عليه وسلم فأمنه رسول الله "وأنشد مدحته الخالدة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول : متيم إثرها لم يفد مكبول

وفي النهاية سر النبي صلى الله عليه وسلم منه لدرجة أن كساه بردته التي فيما بعد اشتراها معاوية من أبنائه بعشرين ألف درهم، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين. وقد اكتسى بها كعب حلة مجد لا تبلى، ولقبت قصيدته من أجلها بالبردة."

واشتهرت قصيدته هذه باسم قصيدة البردة وقد تناولها الأدباء والنقاد شرحا وبحثا حيث قام بشرحها أكثر من تسعة اشخاص، وكذلك قرض قصائد أخرى على هذا المنهج في مدحه خمسة وعشرون شخصا. وهذه الحقيقة تدل دلالة واضحة على أهمية قصيدة البردة فيحلو لي أن أنقل هنا بعض الأبيات من هذه القصيدة:

سعى الوشاة بجنبيها وقولهم : إنك يا ابن سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله : لا ألهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم : فكل ما قدّر الرحمن مفعول
فكل ابن انثى وإن طالت سلامته : يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني : والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نا : فلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لاتأخذني بأقوال الوشاة ولم : أذنب وإن كثرت في الأقاويل
إن الرسول لسيف يستضاء به : مهند من سيوف الله مسلول

فهذه الأبيات التي نالت قبولا حسنا عند الرسول واصبحت سرمدية ولايزال الأدباء والنقاد وعامة القراء يتناولونها بحثا ودراسة.

عربي من نعتيه كلام : عبدالله عباس الندوي ص ٥٤- ٥٥
عربي من نعتيه كلام : عبدالله عباس الندوي ص ١٠٣- ١٠٥

وفي العالم العربي عدد كبير من الشعراء الذين قرضوا قصائد رائعة في المديح النبوي إلا أن البعض منهم قد بلغوا ذروة الكمال واكتسبت قصائدهم سمعة واسعة النطاق وجرت على لسان العامة والخواص، ومن بين هؤلاء الشعراء المرموقين العلامة محمد بن سعيد البوصيري وهو من مواليد القرن السابع للهجرة كان شاعرا كبيرا متبعا الطريقة الصوفية الشاذلية. كان اسم قريته أبوصير ونسبة إليها سُمى أبوصيرى وبكثرة الاستخدام اصبح بوصيري، ولد في ٦٠٨ في دلاص وتوفي ٦٩٧هـ وهو من كبار شعراء المديح النبوي وكتب قصيدة البردة وغيرها من المدائح التي ذكرها العلامة النبهاني.

واكتسبت هذه القصيدة شهرة أكثر من قصيدة البردة لكعب بن زهير. ويروى عن خلفية هذه القصيدة أن الجزء النصف من جسمه قد أصيب بشلل وفي هذه الحال إنه كتب هذه القصيدة. ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وعرض عليه قصيدته فألقى عليه صلى الله عليه وسلم بردته ومسح رأسه وخده شفقة عليه ولطفا به، ولما استيقظ أحس حركة في الجزء المشلول لجسمه وكان قد ذهب أثر الشلل منه، وباليوم التالي كان يمشي في الطريق إذ لقي شخص وسأل عنه أين القصيدة التي قرضتها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فتحير من قول هذا الشخص وقال من أين عرفت هذا الأمر فرد عليه أنني رأيتك تنشد قصيدتك في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعجب انشادك النبي صلى الله عليه وسلم ففهم أن هذا رجل صالح والأمر من الله.

وقد سمى البوصيرى هذه القصيدة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" إلا أنها اشتهرت باسم قصيدة البردة وسماها بعض الناس "البردة المنامية" للتمييز بين الإثنتين. وذاعت هذه القصيدة في عامة الناس وخواصهم وطبعت وبيعت ألوف من النسخ وفي هذه القصيدة ١٨٢ بيتا ومطلع هذه القصيدة يستهل كما يلي :

أمن تذكر جيران بذي سلم : مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة : وأومض البرق في الظلماء من أضم

ولبوصيري ديوان كامل في المدائح النبوية. وقصيدته الهمزية مشهورة جدا وتشمل ٤٥٦ بيتا ومطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبياء : يا سماء ما طاولتها سماء[11]

وبعد الشيخ البوصيري أتى كثير من الشعراء وقرضوا قصائد كثيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ابن جابر الاندلسي (٦٩٨- ٧٨٠هـ) وابن حجة الحموي(٧٦٧- ٨٣٩ هـ) وابن نباته المصري(٦٨٦ - ٧٦٨هـ) شهاب الدين محمود الحلبي (المتوفى ٧٣٥ هـ) وعمر بن الفارض (المتوفى ٦٣٦هـ) والشيخ جمال الدين الصرصري (المتوفى ٦٥٦هـ) وعبدالرحمن بن خلدون والعلامة ابن حجر العسقلاني(المتوفى ٨٥٢هـ) وهؤلاء أشهر ممن قرضوا قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وإلا هناك كثير ممن عرفوا بالمديح.

أما بلاد الهند فهي لا ولم تتخلف عن الركب النوراني الذي تشرف بقرض المدائح النبوية بل من بعض النواحي فاقت العالم الاسلامي، توجد فيها لغة محلية تسمى بـ "الأردو" وفيها نشأ صنف خاص بالمديح النبوي المسمى بـ "النعت" وهو الكلام المنظوم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وبصرف النظر عن هذا فقد قرض شعراء العربية في الهند قصائد رنانة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعدد مثل هؤلاء الشعراء كثير ولايمكن حصرهم في عجالة كهذه، وعلى رأسهم يأتي أول شاعر للعربية في الهند القاضي عبدالمقتدر الكندي الدهلوي (٧٠٣- ٧٩١هـ). وله قصيدة تحتوى على واحد وتسعين بيتاً، وهي معروفة بـ"لامية الهند" فقد عارض بها القاضي "لامية العرب" وهي تعبير حقيقي عن الحب الصادق والتفاني في عشق النبي صلى الله عليه وسلم وهي تستهل بذكر الأطلال ووصف الديار والدمن على مذهب الشعراء الجاهليين فيقول القاضي الكندي:

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل : سلم على دار سلمى فابك ثم سل

بعد التشبيب ووصف جمال حبيبته وذكر أصالة نسبه وقومه يركن الشاعر إلى مدح أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم ومناقبه فيقول:

[11] المدائح النبوية في الهند للدكتور محمد صدرالحسن الندوي، ص:١٤٩- ١٦٠

محمد خير خلق الله قاطبة : هو الذي جل عن مثل وعن مثل
له المزايا بلا نقص ولاشبه : له العطايا بلا منّ ولا بدل [١٢]

وبعد القاضي الكندي قرض كثير من الشعراء الهنود المدائح النبوية باللغة العربية ومن أشهرهم المحدث ولي الله الدهلوي (١١١٤- ١١٧٦هـ) وله قصيدتان رائعتان في مدح سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم أما الأولى فهي همزية وتشتمل على خمسة وأربعين بيتا والثانية بائية وتتألف من مائة وسبعة أبيات، ومن الملاحظ أن الشاه ولي الله لم يسلك مسلك الشعراء القدامى الذين كانوا يستهلون قصائدهم بذكر الأطلال ووصف الديار والبكاء عليها بل اعرض عن هذا الأسلوب وبدأ قصيدته مباشرة. فعلى سبيل المثال تبدأ قصيدته الهمزية:

فهلا قلت إذ حاولت مدحا : ببأس أو سخاء أو سخاء
أرى طينا يذكرني عهودا : بطيبة حيث مجتمع الرجاء

وفي القصيدة البائية يعرب عن حبه العميق للرسول ص قائلا:

فمن شاء فليذكر جمال بثنية : فمن شاء فليغزل لحب الزبائب
سأذكر حبي للحبيب محمد : إذا وصف العشاق حب الحبائب [١٣]

ومن أشهر الشعراء الهنود مثل الشاه ولي الله، غلام علي آزاد البلكرامي (١١١٦- ١٢٠٠هـ) فقد كان البلكرامي يتقن عدة لغات منها العربية والفارسية والسنسكرتية. إنه اكثر من قرض المدائح النبوية وتفنن فيها وأتى بالعجائب والبدائع ولقب بحسان الهند ولم يبلغ شأوه أحد من الشعراء الهنود الآخرين، وقد بلغ عدد أبياته إلى ألفين وخمسمائة بيت، ومعظم قصائد غلام علي آزاد البلكرامي في المديح النبوي وإنه هو الآخر بدأ قصائده بالغزل والتشبيب متبعا طريقة الشعراء الجاهليين فمطلع إحدى قصائدها كما يلي:

لمحت إلي بعينها الكحلاء : فمرضت طول العمر بالسوداء

ثم يعرض عنها ويخوض في مدح النبي ص ويقول:

١٢ المرجع السابق ص:١٨٠- ١٨٦
١٣ المرجع السابق ، ص ١٩٣- ٢٠٨

محمد زينة الأفلاك عنصره : ووشي أردية الأسحار والأصل
فوق العباد وبعد الرب مرتبة : وجوهر نزه عن وصمة المثل

وفي إحدى قصائده يقول :

غبار نعليه كحل في بصائرنا : جنابه مستطاب منتهى الطلب [١٤]

ومن الشعراء الهنود الآخرين للعربية السيد باقر مرتضى الشافعي الويلوري المدراسي المعروف بـ باقرآجاه (١١٥٨- ١٢٢٠هـ). وقرض باقر آجاه في مدح النبي ص قصائد رائعة. وفي إحدى قصائده هو يقول:

بشير منذر هاد أمين : سراج شاهد بدر ذكاء
له بيت رفيع في المعالي : يكون له على العرش اعتكاء
تحير في جمالك كل راء : كأنك قد خلقت كما تشاء
وكيف يطيق مدحك نطق مثلي : عليك صلاة ربك والثناء [١٥]

ومن العلماء الأجلاء الآخرين من أسرة الشاه ولي الله الدهلوي الشاه رفيع الدين الدهلوي (١١٦٣- ١٢٣٣هـ) ولم يقلد الشيخ رفيع الدين هو الآخر أسلوب الشعراء الجاهليين في قصائده فلم يبدأها بالتشبيب أوذكر الأطلال بل سلك اسلوباً مباشراً في المديح النبوي، وأكثر مدائحه عبارة عن بيان واقعة الاسراء والمعراج، وتستهل احدى قصائده بما يلي :

يا أحمد المختار يا زين الورى : يا خاتما للرسل ما أعلاكا
هل كان غيرك في الأنام من استوى : فوق البراق وجاوزالأفلاك [١٦]

ومن أهم وأجل علماء اللغة العربية والعلوم الإسلامية الشيخ فضل حق الخيرآبادي (١٢١٢- ١٢٧٨هـ) وولد الشيخ فضل حق بن فضل إمام بن محمد أرشد في قرية خيرآباد بمديرية سيتافور بولاية أوتاربراديش شمالي الهند وله قصائد كثيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقصائده بوجه عام تبدأ على اسلوب الشعراء الجاهليين، وفيما يلي بعض أشعاره :

شفيع الخلق أحمدهم جميعا : حميد الخلق محمود المقام
همام يستغاث لكل هم : فيكشف كل هم باهتمام

١٤ المرجع السابق ص :٢٠٩- ٢١٢
١٥ المرجع السابق ، ص :٢٢٣
١٦ المرجع السابق ، ص :٢٤٣- ٢٥٥

ولاشك أنك غوث الخلق أجمعهم : ولاتبالي أباطيل المناكيد[17]

ومن كبار الشعراء الآخرين للعربية الشيخ فيض الحسن السهارنبوري (١٢٢٨- ١٣٠٤هـ) وهو من الشعراء المكثرين مثل غلام علي آزاد البلكرامي والعلامة فضل حق الخيرآبادي وله قصائد عديدة بدأ بعضها بالتشبيب على عادة الشعراء القدامى وبعضها مباشرة، ومن أشعاره :

أخاف مقامي عند ربي وأرتجي : شفاعة حبي يوم كشف القبائح

شفيع كريم جلّ عن وصف واصف : ويقصر عما فيه إطراء مادح [18]

ومن هذه السلسلة الذهبية للشعراء الهنود العلامة صديق حسن خان القنوجي ثم البوفالي وهو بلا مراء من العلماء القلائل الذين أنجبتهم أرض الهند. اشتغل العلامة المذكور في بداية عمره بالدراسات الإسلامية والعربية واسهم مساهمة قيمة في تطوير مختلف العلوم الاسلامية مثل التفسير والحديث والفقه والسيرة والتاريخ واعتنى أيضا بالأدب العربي شعرا ونثرا. ولعل المدائح النبوية هي الصنف الوحيد الذي اهتم به علماء الهند الأفاضل أكثر من الأصناف الأخرى للشعر. ولم يتخلف عن هذه القافلة المصطفوية العلامة صديق حسن خان القنوجي الذي برع في العلوم الاسلامية وأتقن اللغات الأردية والفارسية والعربية.

نبذة عن حياة العلامة صديق حسن خان : ولد صديق خان في قرية "بانس بريلي" في ١٤/أكتوبر عام ١٨٣٢ م وجاءت به أمه إلى بلدة قنوج موطن آبائه وفقد صديق خان أباه في الطفولة فربته أمها وقامت بأحسن تربية وتلقى خان دروسه الإبتدائية من علماء بلدته ثم توجه إلى كانبور ومن هنا أتى به أصدقاء والده إلى مركز العلم والثقافة الكائن بدلهي حيث نال حظا وافرا من العلماء والأدباء والشعراء. ثم رجع إلى وطنه وبعد فترة قصيرة خرج عن بيته طلبا للعمل ووصل إلى إمارة بهوبال وإنضم إليها كموظف بسيط في عام ١٨٨٥م وقام بأداء الحج في عام ١٨٦٩ م حيث التقى بعلماء العرب واستفاد منهم في العلوم الدينية واللغة العربية. وبعد عودته من هذه الزيارة المباركة تم ترقيته إلى مناصب عليا في الإمارة. (يتبع)

١٧ المرجع السابق ، ص :٢٤٣- ٢٥٥

١٨ المرجع السابق ، ص :٢٥٨- ٢٦٢

بعض قضايا فقهية مستجدة حول عقد الاستصناع

بقلم : فضيلة الشيخ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي
(أستاذ الحديث والتفسير بجامعة الصالحات . حكريه تامل نادو)

مما لا شك فيه أنّ الاقتصاد المالي لا يُنكر من أهميته وقيمته فى حياة الإنسان كما لا ينكر أنه قد اتسع نطاقه وتشعبت شعبه ، وكثرت أنواعه ونتجت شتى صوره ، ومما لا شك فيه أنّ الصناعات قد تطورت تطوراً كبيرا على مر العصور و الأيام ، وما زالت تحدث قضايا مالية معاصرة ، كانت محطة أنظار العلماء في سائر الأعصار، واليوم أيضاً توجد مسائل ومستجدات كثيرة ، تحتاج إلى عناية الفقهاء المعاصرين بها للغاية، لتقديم حلول شرعية للناس للعمل بها .

ومن تلك العقود المعاصرة التي يحتاج اليها الناس في أكثر الأحوال، عقد الاستصناع ، والاستصناع لم يشرع إلا لقضاء حاجات الناس ومتطلباتهم على خلاف القياس ، لأنّ المعقود عليه لا يوجد عند العقد ، وبيع المعدوم لا يصح ، ولكن جوزه الفقهاء استحساناً ، قياساً على السلم ، لإجماع الناس عليه وتعاملهم به في سائر الأزمان ، واستصناع الرسول ﷺ الخاتم .

الآن أقدم بعض القضايا المالية المستجدة المتعلقة بالاستصناع ، التي يحتاج الناس إلى معرفة حكمها شرعاً فى حياتهم فهي على ما يأتي :

أشياء يجوز فيها عقد الاستصناع :

ولا يجوز عقد الاستصناع إلا في أشياء ، جرى فيها التعامل بين الناس، كأواني الحديد والرصاص والنحاس و الزُّجاج ، والخفاف والنعال ، ولجم الحديد للدواب ، ونصول السيوف والسكاكين ، والنبل والسلاح كله ، والطست والقمقمة ، ونحو ذلك ، ولا يجوز في الثياب والقمصان ، لأنّه لا تعامل فيها ، كما صرح به الفقهاء .(١)

وقد قامت حاجة أعظم إلى السلع الكبرى من الآليات والمعدات فى العصر الحاضر مع تقدم الزمان وتطور الصناعات تطوراً هائلا ، وتعارف الناس بعقد الاستصناع فيها على نطاق واسع فى العالم كله ، كالقطارات

والطائرات والبواخر العملاقة من حمولة خمسمأة ألف طن ، فأكثر من حاملات النفط وسواه ، حتى المصانع الآلية ذاتها بجميع أجهزتها يشتريها من يريد إنشاءها بطريق الاستصناع بجسب حاجته ضخامةً وطاقةً إنتاجيةً (٢) .

وبهذه الأمثلة يعلم أن الاستصناع لم يجر في عرف الناس وتعاملهم إلا فيما تدخله الصنعة دون المنتوجات الطبيعية التي لا تدخلها الصنعة كالبقول والفواكه واللحوم الطازجة واللبن والقمح وسائر الحبوب ، فلا يجوز فيها عقد الاستصناع ، ثم تسد حاجات الناس في تلك الأشياء الطبيعية عن طريق بيع السلم .

وقد تقدمت الصناعة اليوم إلى أن الناس بدأوا يبنون المنارات والمباني التي يمكن نقلها من مكان إلى مكان آخر ، ويتعاملون فيها عقد الاستصناع ، فيجوز استصناع البيوت والمنارات المنتقلة الجاهزة شرعاً ، لتعامل الناس وصنعتهم فيها .

هل الاستصناع بيع ؟

اختلف الفقهاء فى أن الاستصناع هل هو بيع ، أو إجارة أو وعد ؟ فقال بعضهم : إن الاستصناع إجارة محضة ، وقيل : إنه إجارة ابتداءً و بيع انتهاء ، وقال بعضهم : إنه وعد ، ويرى أكثر مشايخ الحنفية وعامة فقهاء الحنابلة أن الاستصناع بيع لا عدة ولا إجارة.(٣) وصحح قول البيع صاحب الهداية أبو الحسن المرغيناني وصاحب الدر المختار علاء الدين الحصكفي (٤) ، بدليل أن محمداً رحمه الله ذكر في جوازه القياس والاستحسان ، وذلك لا يكون في العِدَات ، وكذا أثبت فيه خيار الرؤية ، وأنه يختص بالبياعات ، وكذا يجري فيه التقاضي ، وأن ما يتقاضى فيه الواجب ، لا الموعود (٥) ثم لو كان مجرد وعد لما صح أن يحكم فيه بالصحة وعدم الصحة ؛ لأن الوعد لا يوصف بالصحة أو عدمها .

وقال الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء : جمهور فقهاء المذاهب على أنّ الاستصناع عقد بكل معنى الكلمة ، وليس مجرد وعد حتى عند غير الحنفية من المذاهب الثلاثة التي لا تجوزه إلا على أنّه سلم إذا توافرت فيه شروط السلم (٦) .

بيع المصنوع قبل أن يوجد ويقبض :

ومن المعلوم أن المستصنع الذي هو يشتري الشيئ المصنوع ، يكون معدوما عند العقد ، هل يجوز له أن يبيعه من آخر قبل أن يأخذه ويقبض عليه ؟ كذلك هل يجوز للمشتري الثاني أن يبيعه من رجل ثالث ، والثالث من رابع ، والرابع من خامس ، هلم جراً ؟ ومثل هذه البيوع المسلسلة الآجلة قد كثر رواجها في العصر الراهن في بيع الشقق البنائية وشرائها خاصة ، وفي غيرها عامة .

ومن الأصول الثابتة المسلّمة لدى أرباب العلم أن ما ثبت بنص أو بالإجماع أو تعامل الناس وتعارفها على خلاف القياس ، هو يبقى على مورده لا يتعدى إلى غيره ، وقد سبق أن الاستصناع شرع على خلاف القياس ، استحساناً باستصناع الرسول ﷺ الخاتم (٧) وبالإجماع من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون نكير (٨) ، وتعامل الناس قد جرى بهذا العقد في سائر الأعصار (٩) ، وما زالت الحاجة ماسة إليه. وإذا جاء الإجماع أو الاستحسان ترك القياس (١٠) كما هو معلوم معروف في أوساط أصحاب العلم ؛ فلا يجوز للمشتري ، سواء كان ، أولاً ، أو ثانياً ، أو ثالثاً ، أو رابعاً أن يبيع الشيء المصنوع قبل أن يأتي في حيز الوجود و يقبض عليه ؛ لأن بيع المعدوم لا يجوز ، لما روى عن حكيم بن حزام أنه قال : يا رسول الله ! يأتيني الرجل فيريد مني البيع ليس عندي، أفأبتاعه له من السوق ؟ فقال : لا تبع ما ليس عندك (١١).،وكذلك الشيء المصنوع الموجود لا يجوز بيعه قبل القبض لنهيه ﷺ السابق وحديث ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : ولا أحسب كل شيء إلا مثله ، وقال أيضاً : أما الذي نهي عنه النبي صلى الله عليه وسلم فهو الطعام أن يباع حتى يُقبض (١٢) .

هل الاستصناع يتعلق بالأموال المنقولة فحسب ؟

وقد مر أن أساس الاستصناع تعامل الناس وتعارفهم وصنعتهم ، وعلى هذا يجوز عقد الاستصناع بالأموال المنقولة وغير المنقولة ، كالمباني ، مهما كانت شامخة ، إذ جرت عادة الناس وعرفهم باستصناعها ، فاليوم

تعارفوا باستصناع المباني الجاهزة على أرض مملوكة للصانع ، كذلك الصانع يخطط خطة للبناء أولا ثم يعرض المبنى المقترح المشتمل على عدة شقق مع بيان التسهيلات والأوصاف للناس ، ويكون الثمن محدوداً لكل شقة منها ، ربما يأخذ الصانع من المشتري الثمن على أقساط ، وفي بعض الأحيان كل الثمن الذي يتفقان عليه عند العقد حين يسلمه إياه جاهزا .

حكم صورة للاستصناع يأتيها المؤسسات المالية الإسلامية :

قد اتخذت المؤسسات الاقتصادية المالية الإسلامية طريقة للاستصناع، تسميها : الاستصناع الموازي أو المتوازي ، ولم تقصد بها إلا الاستثمار ، وهذه المعاملة تجري بين ثلاثة أشخاص ، والشخص الاعتباري ، والمؤسسات المالية تكون وسيلة ، وهي تستأمر من شخص وتأمر بنفسها شخصا آخر لصنع كذا مع بيان الأوصاف والتفاصيل اللازمة ، وتستفيد بربح من فروق السعر بين كلا الشخصين بحسب ما يأتي من نقود زائدة من الشخص الأول ، هي تكون ربحاً و فائدة لها .

وهذه الصورة التي اتخذتها المؤسسات المالية للاستثمار لا تجوز شرعاً؛ لأنها تصير من البيوع الآجلة التي لا يجيزها الشرع الإسلامي ، بما تشمل بيع المعدوم والبيع قبل القبض ، وكلاهما ممنوعان شرعاً ، لما مر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما ، وتقدم أن عقد الاستصناع بيع لا عدة على الراجح ؛ فلما عاملت المؤسسات المالية شخصاً واستأمرت منه أمر صنع كذا ، فانعقد البيع بينهما ، والبيع معدوم غير موجود في نفس الوقت .

هل الاستصناع عقد لازم؟ والتفريع عليه :

اختلف الفقهاء في هذا الصدد ، فذهب جمهور فقهاء الحنفية إلى أن الاستصناع عقد غير لازم في مرحلته الأولى ، من وقت انعقاده إلى وقت رؤية المستصنع الشيء المصنوع ، سواء تم الصنع أو لم يتم ، وسواء كان موافقاً للشروط والمواصفات أم لا ، ولهذا جاز للصانع أن يمتنع من الصنع أو أن يبيع المصنوع قبل أن يراه المستصنع ، وجاز للمستصنع أن يرجع في العقد قبل رؤيته الشيء المصنوع (١٣) وقال ملك العلماء الكاساني : إنه عقد غير لازم قبل العمل في الجانبين جميعاً بلا خلاف ، حتى كان لكل واحد منهما

خيار الامتناع قبل العمل (١٤) .

ورأى الإمام أبو يوسف أنه إن تم الصنع حسب الإتفاق يصير لازماً ، ولم يبق لهما الخيار ، بل يلزم الصانع بتسليمه ويلزم المستصنع بقبوله ، وتعليل قوله أن الصانع لما أتى به موافقا تعين حق المستصنع فيه بعينه بعد أن كان حقه متعلقا بذمة الصانع ، فلم يبق له خيار ، وأما بالنسبة إلى المستصنع فإنه لو أعطي خيار رؤية بعد ما أتى به الصانع موافقاً للأوصاف المطلوبة ، فرفضه المستصنع بحكم الخيار ، لتضرر الصانع ضرراً قد يكون كبيراً ، لأنه إنما صنعه بحسب مطلوب المستصنع على أوصاف ومقاييس قد تكون تخالف المعتاد بين الناس ، فيرفضه غيره ولايشتريه بمثله ، فيلحق الصانع أضرار لا يتحملها أحياناً ؛ وهذا الإضرار لم يصبه إلا بتغرير من المستصنع ، إذ لو لا توصيته لما صنعه الصانع ، والنبي صلى الله عليه وسلم كره الخداع في البيع (١٥) فعلم أن الخداع في البيع لا يجوز (١٦) ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : لا ضرر ولاضرار (١٧) .

وقد اختارت مجلة الأحكام العدلية و مجمع الفقه الإسلامي الدولي رأى الإمام أبي يوسف (١٨) ، ورجحته الموسوعة الفقهية الكويتية في اللزوم (١٩) ، فنصّت مجلة الأحكام في المادة (٣٩٢) على أنه إذا انعقد الاستصناع فليس لأحد المتعاقدين الرجوع عنه ، وإذا لم يكن المصنوع على الأوصاف المطلوبة المبينة كان المستصنع مخيراً وهذا الخيار لا يكون خيار رؤية بل خيار فوات الوصف المطلوب المبين عند العقد ، ثم الأصل لزوم العقد (٢٠).

وينبغي في العصر الراهن أن يتخذ رأي الإمام أبي يوسف ، لما فيه دفع الحرج عن الصانع والمستصنع جميعاً ، وحفظ مصالحهما وصيانة حقوقهما . وبأسباب أخرى كما سبقت تحت بيان قول الإمام أبي يوسف .

هناك سؤال مهم يتوجه إلى أرباب الإفتاء ؟ وهو أنه يكون واجباً على المستصنع أن يدفع إلى الصانع جزءاً من النقود معجلا في بعض الأحيان ، إن صنع الصانع (البائع) المال بحسب ما أمر به ، وأعدّه وفق مطلوب المستصنع على أوصاف ومقاييس ، ولكن المستصنع (المشتري) رفضه ، فهل يجوز للصانع (البائع) أن لا يرد النقود المعجلة على المستصنع(المشتري) ، أو

يتدارك بها ما أصابه الضرر وخسر فيه ؟ ومن الواضح أن في مثل هذه الصورة إذا رفضه المستصنع (المشتري) المال المصنوع تعذر على الصانع بيعه لغيره ؛ لأنه لا يلزم أن يكون ذلك المصنوع معتادا بين الناس ومطلوباً مرغوباً بينهم في السوق أيضا.

وقد سبق أن عقد الاستصناع عقد لازم لكل من المتعاقدين منذ بداية العقد على رأى الإمام أبي يوسف (٢١) المأخوذ الراجح عند العلماء المعاصرين، فاللزوم يتقاضى أن يجبر المستصنع على قبول المصنوع إذا كان موافقاً للأوصاف المطلوبة المبيّنة عند العقد، والإجبار لا يمكن إلا في دار الإسلام حيث كانت المحكمة الإسلامية الشرعية قائمة ، وإن لم يجبر أو لم تقم المحكمة الإسلامية الشرعية ، يسع للصانع أن يتدارك ما خسر بالنقود المعجلة ويقتطع جزءاً منها قدر الخسارة ويرد ما بقي على المستصنع بعد الاقتطاع ، إذ لولا توصيته لما صنعه الصانع ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولاضرار ، والقاعدة الكلية : "الضرر يزال" (٢٢).

متى يصير الاستصناع إجارة؟

إذا كانت المادة والعمل كلاهما من جانب الصانع وهو المقاول في عرفنا الحاضر، فيكون مقاولة في القانون والعرف، وعقد الاستصناع في الفقه الإسلامي، وإذا كانت المادة من المستصنع والعمل من الصانع وهو المقاول في العرف المتواجد الحالي، فهي إجارة في لغة الفقهاء، وبعبارة أخرى : إن أُمر الصانع بإعداد شيئ، وقدم المستصنع المشتري بنفسه جميع المواد لصنعه، وليس من جانب الصانع شيئ ما عدا العمل، فذلك العقد يعتبر إجارة دون استصناع، كما ألقى الضوء العلامة السرخسي وملك العلماء الكاساني عليه وفرّقا بين الاستصناع والاستئجار على عمل الصناعة، فقال الكاساني:

"فإن سلّم إلى حداد حديدا ليعمل له إناءً معلوما بأجر معلوم، أو جلداً إلى خفاف ليعمل له خفاً معلوماً بأجر معلوم، فذلك جائز ولا خيار فيه، لأن هذا ليس باستصناع، بل هو استئجار، فكان جائزاً، فإن عمل كما أُمر استحق الأجر، وإن أفسد؛ فله أن يضمنه حديدا مثله؛ لأنه لما أفسده،

فكأنه أخذ حديدا له واتخذ منه آنية من غير إذنه، والإناء للصانع؛ لأن المضمونات تملك بالضمان. (٢٣)

هناك أمور يجب ملاحظتها ورعايتها في هذا العقد، وهي على ما يأتي:

- ولا بد من الحفاظ على مصلحة من قدم مادة العمل، وهو المستصنع، يجب على الصانع وهو المقاول رعايتها والحرص عليها ومراعاة الأصول الفنية في صنعها ما في وسعه، وإن بقي شيئ من مادة العمل وجب عليه رده لصاحبها؛ لأن المقاول أمين فيما بيده من المادة وعلى الحفاظ على مصلحة صاحب العمل، فإن أهمل أو قصر في ذلك، فتلفت أو تعيبت أو فقدت، فعليه ضمانها.
- وإن كان العرف جاريا أن يأتي المقاول بآلات وأدوات إضافية على نفقته لإنجاز العمل فعليه أن يهيئها بمقتضى العقد.

ويجب على المقاول أن ينجز العمل بحسب شروط العقد، فإن أخل شرطا منها وتعذر إصلاح العمل، جاز للمستصنع أن يطالب فسخ العقد فوراً. وأما إذا كان إصلاح العمل ممكنا فيمهل المقاول أن ينجز العمل في أجل معقول، وينذر بتصحيح العمل في هذه المدة المحددة، وإن لم يكمل العمل وانقضى الأجل جاز لصاحب العمل أن يطالب من القاضي فسخ العقد أو الترخيص لتصحيح العمل وإكماله من مقاول آخر على نفقة المقاول الأول.

والمقاول يضمن الضرر أو الخسارة مطلقاً، لأنه كالأجير المشترك، ويستثنى من ذلك ما إذا وقع الضرر بسبب حادث لا يمكن التحرز عنه، عملا بالقاعدة الشرعية ((كل ما لا يمكن التحرز عنه لا ضمان فيه)) (٢٤)

وإن لم يجد المستصنع المصنوع موفقا للأوصاف المطلوبة المبينة في العقد، جاز له أن يفسخ العقد ويرفضه، وإن لم يكن للمستصنع المشتري الذي هو الآمر بدّ من قبول المصنوع، جاز له أن يطلب من الصانع غرامة خسارته؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ضرر ولا ضرار"، والقاعدة الكلية: الضرر لا يزال.

شروط جواز الاستصناع

أما الشروط التي تختص بجواز الاستصناع فهي كما يلي:

١) بيان جنس المعقود على صنعه، ونوعه، وصفته، وقدره، لأنه لا يصير معلوما بدونه.

٢) أن يكون مما يجري فيه التعامل بين الناس؛ لأن ما لا تعامل فيه يرجع فيه إلى القياس، فيحمل على السلم ويأخذ أحكامه.

٣) أن لا يكون فيه أجل، فإن ضرب للاستصناع أجلا صار سلما حتى يعتبر فيه شرائط السلم، وهو قبض البدل في المجلس، ولا خيار لواحد منهما إذا سلم الصانع المصنوع على الوجه الذي شرط عليه في السلم. وهذا قول أبي حنيفة، وقال أبو يوسف و محمد: هذا ليس بشرط، وهو استصناع على كل حال، ضرب فيه أجلا أو لم يضرب، ولو ضرب للاستصناع فيما لا يجوز فيه الاستصناع أجلا ينقلب سلما في قولهم جميعا. (٢٥)

والمؤتمر الفقهي السابع الذي عقده مجمع الفقه الإسلامي بجدة، رجّح تحديد الأجل في عقد الاستصناع، وقرر في هذا الصدد قرارات، منها:

ثالثا:- يجوز في عقد الاستصناع تأجيل الثمن كله، أو تقسيطه على أقساط معلومة لآجال محددة.

رابعا:- يجوز أن يتضمن عقد الاستصناع شرطا جزائيا بمقتضى ما اتفق عليه العاقدان ما لم يكن هناك ظروف قاهرة. (٢٦)

حكم الشرط الجزائي في عقد الاستصناع

وقد سبق آنفا أنه من شروط جواز الاستصناع أن يحدد فيه الأجل، فإن حدد في عقد الاستصناع تاريخ تسليم المبيع وهو المصنوع، ولكن البائع وهو الصانع لم يستطع أن يسلمه إلى المستصنع المشتري على الميعاد، فهل يجوز له أن يأخذ غرامة التأخير من البائع ؟ علماً بكم أن المشتري الأول يعامل من شخص آخر باعتبار ذلك التاريخ المحدد في بعض الأحيان ويعد أنه يسلم المبيع إليه في تاريخ كذا، وجاء التاريخ المحدد، ولم يدفعه البائع الأول أي الصانع إلى مستصنعه وهو المشتري الأول، فيلجأ المشتري الأول أن يهيأ المبيع من السوق موفيا بالوعد، فيشتريه بأكثر من الثمن الذي اتفق عليه هو والصانع، ففي هذه الصورة يحمل المشتري الأول خسارة مضاعفة، فإنه

اشترى ذلك المال من السوق بأكثر من الثمن، ثم إذا نال ماله المأمور بصنعه فيتعذر عليه بيعه، ويبحث من يشتريه من جديد.

ينبغي لنا أن نتحدث عن الشرط الجزائي قبل الكلام على حكم القضية شرعاً. فالشرط الجزائي يراد به التحديد المالي في الحقيقة، وهو اتفاق الناس على أن يشترطوا في عقودهم ضمانات مالية على الطرف الذي يتأخر عن تنفيذ التزامه في حينه وهو في القانون: اتفاق بين المتعاقدين على تقدير التعويض الذي يستحقه من شرط له عن الضرر الذي يلحقه إذا لم ينفذ الطرف الآخر ما التزم به، أو تأخر في تنفيذه.(٢٧)

ومن بين المذاهب الفقهية قد صححت المالكية الشرط الجزائي إلا إذا كان مفضيا إلى الربا،(٢٨) وقد أفتى كثير من فقهاء غير المالكية بجوازه في المعاملات المالية، ومن اعتبره استدلوا بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، التي هي تدل على الإيفاء بالعهد والشرط مطلقاً، كقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.)) (المائدة:١) و ((أوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)) (الإسراء:٣٤). وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً حرم حلالا أو أحل حراماً. (٢٩) والأصل فيه كما صرح به الإمام ابن تيمية: الأصل في العقود والشروط الجواز والصحة، ولا يحرم ويبطل منها إلا ما دل على تحريمه وإبطاله نص أو قياس(٣٠). واعتبرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية الشرط الجزائي، ثم انعقد المؤتمر الفقهي حوله، واعتبره بشروط، وهي :

- يجوز أن يكون الشرط الجزائي مقترنا بالعقد الأصلي، كما يجوز أن يكون في اتفاق لاحق قبل حدوث الضرر.
- يجوز أن يشترط الشرط الجزائي في جميع العقود المالية ماعدا العقود التي يكون الالتزام الأصلي فيها ديناً، فإن هذا من الربا الصريح .

وبناء على هذا، فيجوز هذا الشرط... في عقد الاستصناع بالنسبة للصانع إذا لم ينفذ ما التزم به أو تأخر في تنفيذه، ولا يجوز بالنسبة للمستصنع إذا تأخر في أداء ما عليه.

- الضرر الذي يجوز التعويض عنه يشمل الضرر المالي الفعلي، وما لحق المضرور من خسارة حقيقية، وما فاته من كسب مؤكد، ولا يشمل الضرر الأدبي أو المعنوي .
- لا يعمل بالشرط الجزائي إذا أثبت من شُرط عليه أن إخلاله بالعقد كان بسبب خارج عن إرادته، أو أثبت أن من شرط له لم يلحقه أي ضرر من الإخلال بالعقد.(٣١)

والآن نرجع إلى حكم غرامة التأخير وهي شرط جزائي في الواقع، هي تجوز بالنسبة للصانع إذا لم يعمل مطلقا وانقضى الأجل المحدد، أو بعبارة أخرى : لم ينفذ ما التزم به أو تأخر في تنفيذه وقصر عن وفاء ما التزم به، ولا يجوز بالنسبة للمستصنع إذا تأخر في أداء ما عليه من أقساط الثمن، لأنه تكون تلك الغرامة عن دين في ذمة المستصنع وهو الثمن دون الأعيان والعروض، والغرامة عن دين في الذمة من الربا الصريح المتفق على منعه وحرمته، لأنه من الزيادة على الدين، وواجب الدائن نظرة المدين إلى ميسرة، لقوله تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون.) البقرة: ٢٨٠.

---

(١) انظر : المبسوط ٨٦/١٥ ، والهداية : ٧٨/٣ والبدائع : ٩٧/٦ ، ط : دار الحديث القاهرة، مصر ١٤٢٦ هـ ، و رد المحتار : ٣٦٦/٨ .

(٢) قاله الدكتور مصطفي أحمد الزرقاء(مجلة الفقه الإسلامي١٥١/٢/٧) .

(٣) المبسوط : ٨٤/١٥ وما بعدها ، البدائع : ٩٥/٦ ، مجلة الأحكام العدلية (٣٨٨) ، الإنصاف: ٣٠٠/٤ ، والعناية مع الفتح : ١٠٨/٧ .

(٤) الهداية مع الفتح : ٠٨/٧ ، الدر المختار مع رد المحتار : ٣٦٥/٧ ، ط : دار الكتاب ديوبند .

(٥) الهداية مع الفتح : ٧ /١٠٨ ، البدائع : ٩٥/٦ .

(٦) مجلة الفقه الإسلامي٢٣٧/٢/٧ .

(٧) روى البخاري ـ إصطناع الرسول صلى الله عليه وسلم للخاتم في الأيمان والنذور(فتح الباري : ٤٥٤/١١ ، ط : عبد الرحمان محمد) ، والنسائي أيضا أخرج إصطناعه في الزينة ، باب موضع الخاتم (٥٢٨٤)

(٨) البدائع : ٩٦/٦ ، العناية مع الفتح : ١٠٨/٧ .

(٩) وقال ابن مسعود رضى الله عنه: ما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، مستدرك الحاكم ، معرفة الصحابة : ٨٣/٣ ، (٤٤٦٥) .

(١٠) البدائع : ٩٦/٦ .
(١١) أبو داؤد،باب في الرجل يبيع ما ليس عنده (٣٥٠٣).
(١٢) البخاري : باب بيع الطعام قبل أن يقبض ، وبيع ما ليس عندك (٢١٣٦) ، مسلم : باب بطلان بيع المبيع قبل القبض (٣٨٣٦) .
(١٣) البدائع : ٩٨/٦ ، الهداية وفتح القدير والعناية للبابرتي مع الفتح : ١٠٩/٧ ، الهندية : ٢٠٧/٢، الدر المختار ورد المحتار : ٣٦٧/٧
(١٤) البدائع : ٩٨/٦ .
(١٥) البخاري : البيوع ، باب ما يكره من الخداع في البيع (٢١١٧).
(١٦) نفس المصدر ، باب النهى عن تلقى الركبان ، رقم الباب : ٧٠ ، الترمذي (١٢٣٠) .
(١٧) صحيح لغيره ، رواه مجموعة من أكابرالصحابة (ابن ماجة ، الأحكام ، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٢٣٤١,٢٣٤٠) ، مؤطأ الإمام مالك ، باب الأقضية في المرافق (٢٢٦) ، مستدرك الحاكم : ٥٧/٢ ، وعدَّ الشيخ الألباني طرقه في الصحيحة (٢٥٠/١) وقال : حديث صحيح ورد مرسلا ، وروي موصولا عن أبي سعيد الخدري وحسنه النووى في الأربعين ، وقال : رواه مالك مرسلا ، وله طريق يقوي بعضها بعضاً .
(١٨) قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي ص:١٤٤/١٤١٨هـ ١٩٩٨م،الدورة السابعة بجدة ١٤١٢هـ
(١٩) فقالت : اللجنة ترجح رأي أبي يوسف الذي أخذت به المجلة ، وترى لزوم عقد الإستصناع، لما يترتب على استقلال أحد الطرفين بفسخه من المضار ، إلا إذا جاء على خلاف الوصف المتفق عليه.(٣٢٩/٣) .
(٢٠) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري : ٦٦/١ .
(٢١) الهندية : ٢٠٨/٢ .
(٢٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري : ١ /٨٦ .
(٢٣)البدائع: ١٠٠/٦، أنظر أيضا المبسوط: ٨٤/١٥.
(٢٤) القانون الكويتي (م: ٦٦٦-٦٧٠)، والأردني (م: ٧٨٣-٧٩١)، والإماراتي (م: ٨٧٥-٨٨٣)، والمجلة (م: ٤٣، ٥٨، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٨٣، ٥٧٤، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١١، ٨٩١، ١٣٨٧، ١٣٩٨، ١٦٦٠، ١٨٠١).
(٢٥) البدائع:٩٧/٦،المبسوط:٨٦/١٥، رد المختار:٣٦٦/٧،الموسوعة الفقهية الكويتية: ٣٢٨/٣-٣٢٩.
(٢٦) قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة للدورات ١-١٠، القرارات ٩٧، ص ١٤٤-١٤٥.
(٢٧) المدخل الفقهي العام للشيخ مصطفى الزرقاء: ٧١٤/٢.
(٢٨)أحكام الالتزام بين الشريعة والقانون، ص: ٧٤.
(٢٩)البخاري، الإجارة، باب أجرة السمسرة (باب : ١٤)، الترمذي، الأحكام، باب ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح بين الناس (١٣٥٢).
(٣٠)مجموع الفتاوى: ١٣٢/٢٩، ٣٤٦ وما بعدها.
(٣١)أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية:٢١٤/١.

دراسات وأبحاث

الرحلة تاريخها وأدبها عبر العصور

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم: الباحث عطاء الرحمن الأعظمي الندوي
(كناؤ الهند)

الرحلات الدينية :

الرحلة الدينية أو الحجازية هي رحلة روحية إلى بيت الله الحرام، حيث يتوجه المسلم بالسفر إلى مكة لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي بالمدينة النبوية، راجياً من الله أن يغفر ذنبه، ويقبل توبته، ولقد نشأ هذا اللون من الكتابة الرحلية عندما كان المغاربة والأندلسيون ينتهزون فرصة خروجهم بغرض أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية، فيدونون رحلتهم منذ خروجهم قاصدين البيت الحرام بمكة، وأداء مشاعر ومناسك الحج، وزيارة مسجد النبي بالمدينة النبوية .

ويتناولون بالوصف الدقيق مراحل الحج، والمدن والبلدان التي يمرون عليها، وتسجيل انطباعاتهم عن أحوال تلك البلاد، حتى يتم لهم الوصول إلى هدفهم، وهو بيت الله الحرام، فتشتمل الرحلة على وصف مفصل عن مكة والمدينة، ووصف بيت الله الحرام، وكيفية تأدية مناسك الحج، فتكون من هذه الرحلات مكتبة ضخمة قائمة بذاتها عرفت باسم الرحلة الحجازية .

الرحلات العلمية :

قد حث النبي صلى الله عليه وسلم صحابته على الخروج لطلب العلم، كما لفت القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى أهميته، في البداية، نشطت الرحلة إلى طلب العلم امتثالا لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ولما فتح الله على العرب المسلمين البلاد، ودخل أصحابها في دين الله، توجه أصحاب تلك البلاد المفتوحة إلى عاصمة الخلافة، وإلى مكة والمدينة بصفتهما مركز الدعوة، وموطن الصحابة، حفظة علم الرسول صلى الله عليه وسلم .

الرحلات التجارية :

كانت التجارة دافعاً قوياً للسفر، خاصة بعد اتساع رقعة الدولة

الإسلامية، وعدم وضع الحواجز، وعمل الخلفاء المسلمون على تمهيد الطرق وتعبيدها وتأمينها، كما أن الإسلام قد فرض ثقافته الداعية إلى الأمن ونشر السلام، أدى ذلك إلى زيادة نشاط الرحلات التجارية، كما كانت التجارة سبباً من أسباب رواج وازدهار أدب الرحلات، حيث ألجأت التجارة التجار إلى الانتشار في أرض لم يعرفوها، ولغة لم يتقنوها، وطباع أناس لم يألفوها، وأجناس من البشر لم يخالطوهم من قبل، ولم يعاشروهم، ولم يعاملوهم من قبل، وتناقل التجار أخبار رحلاتهم ومشاهداتهم، التي كثيرا ما شابهت المبالغة والمغالاة في الوصف وتعظيم الصورة، وتهويل المواقف والأحداث، وتحملت طبقة التجار أعباء الرحلات، فخاضوا غمار البحر، من أجل الكشف الجغرافي للمسالك والممالك والأسواق الجديدة.

الرحلات السفارية :

كان مصعب بن عمير (رضي الله عنه) هو أول سفير في الإسلام، حيث كلفه النبي صلى الله عليه وسلم بنشر الدعوة الإسلامية في المدينة، فقام مصعب بمهمته خير قيام، ومهد مجتمع المدينة النبوية لاستقبال النبي صلى الله عليه وسلم .

كانت السفارة هي التي تقوم بتسهيل وتذليل تلك الصعاب للبعثة المكلفة بالبحث، ومع نمو وازدهار الدولة الإسلامية وتوسعها، في الفتوحات الإسلامية، حيث ترامت أطراف الدولة، وتشابكت مصالحها مع البلاد المفتوحة، وتعددت علاقاتها في شتى أغراض الحياة المختلفة، فنظمت الدولة وهيأت آفاق الاتصال بين أجزاء الدولة بعضها ببعض، وبين الدولة وغيرها من الدول عن طريق السفارات والبعثات، مما فتح لهم أبواب معرفة علمية جديدة، عرفوا من خلالها أخبار مجاوريهم معرفة دقيقة .

المؤلفات الخاصة بالرحلات :

ونذكر هنا بعض الرحلات لقدماء العرب وترجمة أحوالهم، وتعريفا عن كتبهم ومؤلفاتهم التي ألفت في القرون المتأخرة للعهد الأموي والعباسي، ومن تلك الكتب للعديد من الرحالة والتجار والجغرافيين وعلماء الأفلاك والنجوم، ومن المعلوم أن المؤلفات في الجغرافيا لم تظهر جليا واضحا إلا في القرن الثالث الهجري خلال عهد خلفاء بني عباس، وهذه المؤلفات تصف أجزاء وأقاليم الدولة الإسلامية وما يجاورها من البلاد، وكذا الأخبار السياسية والاجتماعية، كما دونوا تقويم البلدان والحكومات .

رحلة ابن بطوطة :

مؤلف هذه الرحلة الشهيرة هو صاحبها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة، وقد عرف باللواتي نسبة إلى قبيلة لواتة البربرية، كما لقب شمس الدين، ولد في طنجة سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤) بالمغرب لأسرة عريقة في المجد والكرامة نبغ فيها أصحاب الكفاءات البارزة. ولما بلغ ابن بطوطة الثانية والعشرين من عمره خرج من طنجة مرتحلا لتأدية فريضة الحج عام ٧٢٥هـ، وقد عرف رفاقه في السفر تبحره في العلوم الشرعية كما تبينوا فضله ودماثة خلقه وذلك في طريقهم إلى مصر فجعلوه قاضيا لهم، وخرج من طنجة سنة ٧٢٥ هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط أفريقيا. واتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم، وكان ينظم الشعر، واستعان بهباتهم على أسفاره .

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات، وقد استغرق في مجموعها نحو تسع وعشرين سنة، وكان أطولها الرحلة الأولى التي لم يترك في خلالها ناحية من نواحي المغرب و المشرق إلا زارها، وكانت أطول إقامة له في بلاد الهند حيث تولى القضاء سنتين ثم في الصين حيث تولى القضاء سنة ونصف سنة . أما رحلته الثانية فكانت إلى أسبانيا، والثالثة كانت إلى السودان. .

طبعت أولا هذه الرحلة مع الترجمة الفرنسية في أربعة مجلدات عام ١٨٥٩م من باريس ونقلت محتوياتها بعد إلى اللغتين التركية والفارسية. وبدأ المترجم الأوربي "كب" نقلها إلى اللغة الإنجليزية طبع منها مجلدان عام ١٩٦٠م من مكتبة دار الصادر .

وقد أعطى ابن بطوطة صورة واضحة من الشؤون الاجتماعية في البلدان المختلفة التي زارها، فقد وصف لنا الزوايا والرابطات الصوفية التي كانت منتشرة في الجبال المحيطة بها مثل رباط العفات. وقد أعجب ابن بطوطة إعجابا شديدا بحسن خلق أهل السودان وجميل أفعالهم وخصالهم، ومن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيئ منه ومنها شمول الأمن في بلادهم.(٤) .

خريدة العجائب لابن وردي :

اسم الكتاب الكامل هو "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" لصاحبه

العالم العربي أبو حفص عمر بن الوردي المتوفى عام ٨٦١ من الهجرة. صدر أولا من المكتبة المحمودية في القاهرة عام ١٣١٦هـ.

قيدت في الكتاب المعارف والمعلومات الجغرافية، وخواص الأحجار الثمينة ومنافعها وفوائد الحيوانات والزروع ومنافع الأعضاء للطيور ومزايا الحكومات وخصائصها ، كما يشتمل على ذكر المعلومات والمعارف التاريخية والدينية غير المنسجمة بعضها مع بعض.

وقد صرح المؤلف في المقدمة أنه طلب منه حاكم من حكام الحكومة أن يرسم له خريطة الأرض ويحدد مواضع الجبال والأنهار والبحار والجزائر والبلدان ويشفي غليله الجغرافي فرسم صورة الأرض المكورة وحدد المدن والجزائر والجبال والأنهار والبحار.

وقد جمع مقتبسات عديدة من المؤلفات والكتب القديمة، وذكر حكايات طريفة وعجيبة، منها قصور ذات الإرم ومبانيها الشامخة فإنها تمثل الجنة في الدنيا بناها شداد بالذهب والفضة والجواهر الثمينة والأحجار القيمة، وأحوال أصحاب الكهف وغيرها من الطرائف والعجائب.(٥) .

أخبار الزمان للمسعودي :

الاسم الكامل لهذا الكتاب "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان العامر بالماء والعمران" لمؤلفه الشهير في علم الجغرافيا أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الذي وصفه ابن خلكان بإمام المؤرخين، كان باهر الذكاء وأشمل الناس علما ومعرفة، الظن الغالب أنه ولد في بغداد في أسرة عريقة في المجد والكرامة وهي أسرة تنتهي نسبته إلى سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل.

تتبع المسعودي في الكتاب في وصف الأرض والبحار والعجائب والغرائب وتاريخ الأمم القديمة وما كانت تعتنقه من الأديان وما تعتقد فيه من المذاهب وما تتبعه من العادات والتقاليد كما ذكر الأيام والشهور والتقاويم.

يذكر عناوين متفرقة في الكتاب ويبحث عن الجوانب العديدة من أخبار الملوك والمدن والبحار والأنهار، إذا تركنا الجانب السياسي والديني في كتابات المسعودي نجد أن حديثه عن البلدان والشعوب التي ارتحل إليها يشغل الجانب الأكبر من المصنفات التي تركها لنا، فيحدثنا عن البحار التي جابها وارتحل إليها، ويخص بالذكر رحلاته إلى المحيط الهندي وشرقي أفريقيا.

وقد وزع الكتاب في ثلاثة أجزاء: الجزء الأول عن ذكر البحار

والجزائر وعجائبها، والثاني في ذكر سيدنا آدم ونوح وأولادهما وأبنائهم المعروفين، والثالث في ذكر الفراعنة في مصر وسلاطينها وحضارتها ومبانيها وعجائبها وغرائبها.

الأمر المدهش أن الكتاب يسدل الستار على الحضارة والثقافة المالكية في مصر القديمة، حيث انتشرت الأوهام والخرافات والخزعبلات عن الطلاسم، وقد ضم المؤلف هذه البحوث في كتابه أخذاً من المؤلفات القديمة، ولم يذكر شيئاً عن أصحابها.(٦).

الملل والنحل للشهرستاني:

تلقى محمد بن عبد الكريم الشهرستاني العلوم والفنون في إيران في المجتمع الذي عاش فيه، ليس له حلقة وافرة وتلامذة، ولم يكونوا أصحاب النفوذ والسيطرة والحكومة كما كان حال المحدثين الذين سادوا في المجتمع ولذلك لم تلق له شهرة فائقة. كان مشغوفا بالعلوم والفنون الفلسفية وتعليم الأنظار والوجهات، وكتابه خير شاهد على هذا الموضوع، وقد ألف كتبا عديدة لكنها لم تطبع.

أهم العناوين التي علقها في كتابه "الملل والنحل" هي: أرباب الديانات والملل من المسلمين وأهل الكتاب وممن له شبهة الكتاب. المجوس وأصحاب الوثنيين والمانوية وسائر فرقهم تتبع الأهواء والنحل وتتعلق بأصحاب الروحانيات والمجادلات والمحاورات بين الصائبة والحنفاء، والحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة، والمتأخرون من فلاسفة الإسلام، أبوعلي بن سينا وكلامه في المنطق وفي الهيئات والطبيعيات، آراء العرب في الجاهلية. آراء الهنود وأصحاب التناسخ والبراهمة، فهذه العناوين والمحتويات علقها في كتابه وهي كلها تعد من علوم الفلسفة والتاريخ.

الكتاب يحتوي على ذكر الموضوعات التي تتعلق بالديانات والفرق والجماعات الإسلامية وغيرها وآراء الفلاسفة المشهورين ووجهاتهم، وحدد التقديمات الخمسة ذكر فيها عن الديانات والفرق والتصريحات الأخرى عنها لكنها غير منسجمة وبدون تنظيم، وصرح في المقدمة الأولى عن توزيع أمم وطبقات العالم على أسس مختلفة من الأجواء واللغات والأجناس والهيئات إنه قام بتوزيع الأمم على أسس الآراء والأنظار فقد توجد في الطبقة المجوسية ٧٠ طبقة، واليهود متوزعون في ٧١ طبقة، والمسيحيون في ٧٢

طبقة، والمسلمون في ٧٣ طبقة.

الكتاب يحتوي على ذكر الأديان والفرق الإسلامية وغيرها وتعاليم الفلاسفة ووجهاتهم، أخذ المؤلف هذه المعلومات عن الكتب والمؤلفات العديدة لكن لم يذكرها في الكتاب كما لم يذكر الأشخاص والأعلام الذين نقلها عنهم. وقد ذكر المؤلف الفرق والطبقات الإسلامية في كتابه ونقلها عن مآخذها ومصادرها كما وجد (٧).

المسالك والممالك لابن حوقل:

هذا الكتاب لمؤلفه الشهير أبي القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي، ولد ابن حوقل بنصيبين بالجزيرة. قضى طفولته في نصيبين ثم عزم على السفر والارتحال في السابع من شهر رمضان لتلقي العلوم والفنون. سافر إلى ديار الإسلام ثم أخذ يجوب البلاد نحو ثلاثين عاما لدراسة البلاد والشعوب، ورغبة في الارتزاق من باب التجارة.

كان المؤلف منذ حالة الصبوة مشغوفا زائداً بقراءة كتب المسالك متطلعاً إلى كيفية البين بين المسالك في السير والحقائق وتباينهم في المذاهب والطرق، ذكر ابن حوقل أقاليم المدن الثماني عشرة ومناطقها في كتابه كما ذكر الصحاري والبحار، وأوصاف الرسوم والخرائط ومناقبها وأهميتها وجدارتها أمام الرسوم الأخرى.

ومما يدل على اهتمام ابن حوقل بالتجارة وحرصه الشديد على معرفة الجبايات والخراج والجوابى والعشور والصدقات أنه أعطانا وصفاً دقيقاً وشرحاً مسهباً لأحوال البلدان العديدة ولم يذكر في الكتاب بعض المعارف والمصادر الهامة التي توجد بكثرة في كتب الجغرافيين، ومما يتعلق بعلوم الأفلاك والنجوم، وصور الأرض وأشكالها وهيئتها وقطرها، والعجائب والغرائب البرية والجوية، ومدنها وعماراتها ومعابدها ومساجدها كما توجد في "المسالك والممالك" لابن خرزدازبه، و"الأعلاق النفيسة" لابن رستة، و"كتاب البلدان" لليعقوبي، و"مروج الذهب" للمسعودي، و"أحسن التقاسيم" لليعقوبي.(٨).

عجائب الهند لبزرك بن شهريار:

مؤلف هذا الكتاب هو بزرك بن شهريار. كان من مواطني رامهرمز في خليج فارس الشرقي من خورستان، وكان أهلها في قديم الزمان ملاحين يسايرون الركوب في البحار، وأكثرهم ضباط البحر. وكان بزرك بن شهريار أيضا من ضباط البحر يجوب البحر من الشرق بالأمتعة التجارية

فذكر في كتاب القصص والحكايات عن الجوابين ورجال البحر بالاستناد إلى الكتب والمصادر الأخرى منها بلاد الهند ويمن والصوماليا مع أفريقيا الساحلية الشرقية ومدغاسكر ولنكا وجزائر إندومان وكاترا وملايا، وأهل الهند والصين من سواحل الجنوب.

يظهر من عنوان الكتاب "عجائب الهند" أنه ألف عن القصص والحكايات المروية عن عجائب الهند وغرائبها، ولكن لا نجدها في الكتاب إلا في ربع محتويات الكتاب، فالأجزاء الثلاثة والحكايات تتعلق بخليج فارس وبحر الهند وخليج البنغال وبحر سماترا وجاوا وإندونيشيا وبحر الصين وغيرها، ولا يوجد شيئ في الكتاب عن عجائب البحار والجزائر الأخرى من العالم. وتدور موضوعات الحكايات حول ذكر الأرياح والأسماك والحيوانات البحرية، وأخرى من عجائب المخلوقات التي انطمست عن الكون. وإن الحكايات والوقائع قد ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري في بصرى والصين على أفق البحار وسواحلها. وتظهر بدراسة الوقائع والمحتويات أن السفن الشراعية تحت هبوب الرياح وهي تضيع وتفرق في البحار إذا سارت الأرياح ضدها وخالفت الركوب فيها فالسفن تكون نهايتها التفرق والخراب، والأرياح تهب كثيراً في خليج فارس وبحر عمان وبحر العرب وبحر الهند، ولا ينجو الركاب والسفن فيها إلا نادرا، والسفن الشراعية تملأ بالأمتعة الثمينة التجارية، وكان التجار يجوبون البلدان لبيع متاجرهم، وجاءت بعض الحكايات والقصص عن التعاونات التي تأتي بالأعاجيب والأمور المدهشة.(٩).

رحلة ابن جبير :

مؤلف هذا الكتاب هو الأديب المعروف ابن جبير الأندلسي. كان من سلالة طبقة الكتاب المستوطنة خارج مكة وارتحل أجداده إلى الأندلس وحازوا على مناصب عالية من الحكومة. هناك نشأ وتربى ابن جبير في بيئة علمية، وجاهد في الكتابة والخطابة كان باهر الذكاء فقد تفرد في فن الكتابة والإنشاء والترسل، ولم يستخدم العبارات الغامضة الدقيقة، ويأتي بالعبارات السهلة الساذجة.

ذكر المؤلف في الكتاب مصاعب السفر وشدائدها وأخطارها المحدقة، كما ذكر الأماكن والمنازل التي مر بها خلال السفر وفصل

ذكر الكعبة المقدسة والمسجد الحرام، ومعظم ما ذكر من التفاصيل توجد في الكتب والمؤلفات الأخرى، والمشاهد التاريخية التي ذكرها من مشاهداته تحمل أهمية تاريخية .

ومن ميزات ابن جبير البارزة عنايته البالغة بوصف المدن التي زارها وبصفة خاصة مكة المكرمة وما تحويه من آثار وعمائر دينية ومدنية ومدارس ومستشفيات وأسواق وغيرها ، فمن وصفه لآثار مكة المكرمة وأخبارها الشرعية .

ومن الموضوعات الاقتصادية التي عني بها ابن جبير في شيء من التفصيل هي المكوس التي كان على الحجاج دفعها لشريف مكة نظير ما يؤدي له من خدمات في مكة وفي عرفة وسائر المناسك فيقول: "وأكثر هذه الجبهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى وهم يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في أهل المدينة" .

رحلات ابن جبير حوت الفوائد والتجارب والمعارف التي يحرص كل مؤرخ أو جغرافي أو أديب الاستفادة منها ، إذ أنها أصدق مرآة للعصر الذي عاش فيه صاحبها.(١٠) .

كتاب البلدان لليعقوبي :

مؤلف هذا الكتاب العالم العربي الشهير ابن واضح اليعقوبي، له شغف زائد بمعرفة البلدان والأماكن ولذلك زار البلدان العديدة وتحصلت له معرفة زائدة عن أحوال البلد والأماكن.

ويمتاز الكتاب بالعبارات الشيقة. لا يستخدم المؤلف الكلمات المترادفة كما يعتاد مؤلفو العصر العباسي، وله مزايا خاصة من ناحية التراكيب واستخدام الجمل. إنه لم يذكر المصادر والمآخذ كعادة المؤلفين العرب لا في المتن ولا في المقدمة. وبدراسة الكتاب يظهر جليا أنه حصل على هذه المعلومات والمآخذ وما كتب عن المشاهدة والعيان إلا قليلا .

إنه ذكر أولا عن بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين، وسرد الأماكن المعروفة بمناخها ومواسمها ، كما ذكر مناطق "سر من رأى" لعصر المعتصم بالله العباسي، محتويات هذا الكتاب ليست موسعة حاوية فليس فيه علوم الكليات والجغرافيا وغيرها. ومعظم محتوياتها تتصل بالمصادر التاريخية ، وذكر المؤلف بعض الأماكن وحدودها وفوارقها ومراحلها التي تحوي عشرين ميلا أو ثلاثين، وأتى بذخائر علمية موثقة بالنسبة للكتب الأخرى

فذكر البلدان وأهاليها وطبائعهم وديانـاتهم وألقى الضوء على المناحي الخفية والمستورة، كما ذكر عدد المحصولات من الأقاليم والأصقاع.

ليس حجم الكتاب موسعاً، ومستنداته ومآخذه لم تؤخذ بدقة وتحقيق وإذا دققنا النظر على مآخذه وجدنا أمورا جديرة بالإصلاح كما أنه أخطأ في تحديد الجهات من الشرق والغرب والجنوب والشمال. إنه ذكر أن مناطق آذربيجان، ونهاوند، وحمدان، وري، وحلوان، وطبرستان، وجرجان، وقروين، وزنجان تقع في الجهة الشرقية من بغداد مع أنها في الحقيقة تقع في الجهة الشمالية أو الشمال الشرقي. (١١).

مروج الذهب للمسعودي :

الكتاب بمثابة وثيقة تاريخية، تنقسم إلى أربعة مواضع هامة: الأول: علوم الأفلاك والنجوم. الثاني: علوم الجغرافيا. الثالث: الأمم الماضية وأحوال سلاطينها وحكامها. الرابع: التاريخ الإسلامي، فالعناوين الثلاثة الأولى تحتوي على ٦٥٠ صفحة والتاريخ الإسلامي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العهد العباسي المطيع بالله يبلغ إلى ألف صفحة.

وما ذكر من علوم الأفلاك والنجوم يرجع مصدرها إلى كتب بطليموس وعلماء الهيئة الآخرين وأخذ مصادر الجغرافيا من كتاب بطليموس "الجغرافي" وذكر في صدد الجغرافيا الأقاليم السبعة، والبحار والأنهار المعروفة، والمد والجزر، ونقل البحار من مكان إلى مكان، وتختلف محتويات مروج الذهب من محتويات "التنبيه" وجمع مصادر المؤلفات الأخرى وعباراتها. كما ذكر الحوادث والوقائع التاريخية بدقة وأمانة والتزم بذكر تاريخ الولادة للملوك وتاريخ وقائعهم وصرح بما فيها من اختلاف.

جمع المؤلف في الكتاب الأحداث والوقائع من المصادر المهمة، واستند بالأبيات والأناشيد الشعرية في الكتاب حذو المؤلفين من سلفه.(١٢).

التنبيه والإشراف :

صاحب هذا الكتاب هو علي بن حسين المسعودي مؤلف أخبار الزمان ومروج الذهب. كان مطلعا على العلوم الفلكية والجغرافية وعلوم الحضارة والثقافة للأمم.

تشتمل محتويات الكتاب على ثلاثة موضوعات مهمة: الأول علوم الأفلاك والنجوم، والثاني علوم الجغرافيا، والثالث علوم التاريخ. إنه ذكر

في علوم الأفلاك والنجوم الأقطار والمراكز الأرضية والأجرام السماوية، ودوران السيارات حول الأرض وهي سبع فلا يطفأ غليل القارئ بدراسة كتابه حول هذا الموضوع.

وسلط في علم الجغرافيا الضوء على هيئة الأرض وقطرها والدنيا المسكونة والأقاليم السبعة والبحار والأنهار والرياح وغيرها من تغيير المواسم، وهذه كلها مباحث هامشية لا تجدر بالاعتناء وكلها مأخوذة من التراجم اليونانية والسريانية.

وذكر في علم التاريخ موضوعات خمسة (١) الأمم الماضية (٢) حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) حياة خلفاء الراشدين (٤) عصر خلفاء بنى امية (٥) وعصر خلفاء بنى عباس إلى المطيع بالله.

احتوت عناوين هذا الكتاب على مواد يكفي بها أداء الواجبات والفرائض للأمراء والحكام والوزراء وعمال الحكومات، وأتى باكتشافات يقف بها القارئ والدارس على النواحي التاريخية للأمم الماضية والأسر الحاكمة والديانات والمذاهب المعروفة وأحوال مؤسسي الديانات وأصولهم.(١٣)

---

(١) المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة الشاملة، الإصدار: ٣,٢٨، ص ١٩٣/١ .
(٢) ضيف شوقي، الرحلات، دارالمعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٥٦، ص/٦ .
(٣) فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م، الطبعة غير مذكورة، ص١٥٠ .
(٤) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، الطبعة غير مذكورة .
(٥) ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة، ١٣١٦ه، الطبعة غير مذكورة .
(٦) المسعودي، أبو الحسن علي، أخبار الزمان، طبعة مكتبة عبد الحميد الأثرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٨م .
(٧) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م .
(٨) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، المسالك والممالك، طبعة ليدن، ط٢، ١٩٣٨م
(٩) ابن شهريار، بزرك، عجائب الهند، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٠م .
(١٠) ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي، رحلة ابن جبير، دار بيروت، ط١، ٢٠١٠م .
(١١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ .
(١٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر .
(١٣) المسعودي، أبو الحسن علي، التنبيه والإشراف، طبعة بريل، ط١، ١٨٩٣م .

أعلام النساء في "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" للعلامة عبد الحي الحسني

الباحثة عائشة القدسي القدوائي
قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة علي كراه الإسلامية(الهند)

العلامة عبد الحي الحسني وخصائص كتابه:

العلامة السيد عبد الحي الحسني لا يحتاج إلى التعريف به في جودة التأليف وحسن الجمع وكتابة التاريخ وسعة الاطلاع على أحوال الهند ورجالها ، ومن كتبه النافعة كتاب "نزهة الخواطر"[1] مفيد جدا للاطلاع على تراجم أعيان الهند من القرن الإسلامي الأول إلى عصر المؤلف العلامة عبدالحي الحسني(المتوفى ١٣٤١هـ)، هذا الكتاب يجمع تاريخ ألف سنة من الإسلام في الهند مع تحقيق وتنقيح وتهذيب، وهو عصارة جهود استغرقت حياته كلها، وأصبح قطعة من نفسه ونسخة من روحه، إن كتاب" نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"(١) يشتمل على ثمانية أجزاء، ولم يغادر الشيخ من الأعلام إلا أحصاهم في كتابه، حتى حوى الكتاب ترجمة أكثر من أربعة آلاف وخمس مائة ونيف، إن المؤلف لا يتحيز إلى جماعة في التاريخ ولا يتعصب على فئة، بل يؤدي الأمانات إلى أهلها، وذلك لأن التاريخ في نظر العلامة الحسني كمرآة وضيئة أمينة، إنه يمتاز مع سعة نظره بسعة قلبه وسلامة صدره وثقوب نظره، يعطي الرجل مكانته، ويصفه بصناعته، فهو في ذلك يشبه ابن خلكان (المتوفى٦٨٠هـ) في "وفيات الأعيان"، وجمع أقوال أبناء الهند مع أمانة النقل والتحري في الأقوال بكل صدق وعدل، فإن العلامة عبد الحي الحسني في جانب ينقل أحوال العلماء والشيوخ وعلماء التزكية والإحسان والأمراء والملوك في الهند وفي جانب آخر يذكر فضليات النساء ذوات التفنن في الفضائل، البارعات في العلم والدين والسياسة والأدب

[1] كان اسم الكتاب قديماً نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ويعرف الآن باسم: (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)

وإنشاء الرسائل، وسعدت عشرون من الفاضلات الهنديات بالتعريف في"نزهة الخواطر"، هذا الاختيار يبدي حسن ملاحظة المؤلف ودقتها وصفاء حسه ورقة شعوره واندفاعه إلى الجمال والكمال أينما وجد، واعترافه بالفضل أينما حل واستقر، تناول المؤلف طبقات أهل الفضل والنباهة على اختلاف أصنافهم، فيذكر النساء الفاضلات جنباً إلى جنب مع الرجال، ومع ذلك قد اختار المؤلف أسلوبا سلسا رشيقا، ولا تخلو عبارته من عذوبة وحلاوة، فأصبح الكتاب كاسمه"نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" الذي لا يمل القارئ قراءته ولايستثقله وازدان بتنوع مادته ووفرة تراجمه، فهو يشتمل على فوائد هامة في تاريخ الهند العلمي والسياسي والديني وعلى نكت لطيفة لا يجدها الباحث في مكتبات حافلة، فضلا عن هذا الكتاب.

إن المؤلف لم يتناول النساء الهنادك، لعله عالج النساء المسلمات الهنديات فقط، واختار في مؤلفه المنهج الذي فيه يذكر المرجع في كل ترجمة، منهجه نافع جدا للباحث والقارئ ليمكن الرجوع إلى المرجع لمن يريد استزادة أخبار المترجم، ولكنا نجد أنه ذكر المراجع في ست تراجم فقط من عشرين ترجمة من النساء والمراجع التي أشار إليها الشيخ في تراجم النساء، وهي الكتب على النحو التالي:

١) تاريخ فرشته لمحمد قاسم فرشته (٢) خزينة الأصفياء لأحمد بن يعقوب بتني(٣) مرآة جهانما(٤) مآثر الأمراء لعبد الباقي نهاوندي (٥) بحر زخار لوجيه الدين أشرف(٦)إقبالنامه لمحمد شريف معتمد خان.

إن المؤلف قد عالج سبعة قرون في الجزء الأول الذي يحتوي على مجلد واحد، وعدد تراجم هذا المجلد كاملا خمسون ومأتان، واعتنى فيه بالمرأتين الفاضلتين، والجزء الثاني والثالث والرابع يخلو من ذكر النساء، إنه ذكر أكثر تراجم النساء في الجزء الخامس الذي تناول فيه تسع تراجم من النساء الفاضلات الصالحات ، وجملة عدد تراجم هذا الجزء سبع مأة وستون، وهكذا يذكر المرأتين الفاضلتين، في الجزء السادس، وجملة عدد تراجم هذاالجزء أربع وسبعون وسبع مائة، ويأتي في الجزء السابع بترجمة

امرأة فاضلة، وجملة عدد تراجم الجزء إحدى وثلاثين وألف ترجمة، واختتم الجزء الأخير من كتابه على ثلاث وستين وخمس مأة ترجمة وعالج فيه ستة تراجم من النساء الفاضلات.

الموازنه بين نزهة الخواطر والكتب الأخرى :

وإذا وازنا بين تراجم من الرجال والنساء في نزهة الخواطر والكتب الأخرى ، وجدنا تفاوتاً عظيماً، فإن مؤلف نزهة الخواطر قد اقتصر على عدد قليل من عقائل النساء في كتابه التراجم، لأن المؤلف لم يستطع أن يطلع على أحوالهن وأخبارهن التي احتجبت أخبارهن عن عيون الرجال، وتوارت آثارهن وراء العصور والأجيال، وسبب ذلك أن النساء تخلفن عن المساهمات العلمية والأدبية والسياسة من الرجال قبيل النهضة النسائية الحديثة، حينما لا تنكر مساهماتهن العلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية في شبه القارة الهندية، ولم يتأخرن تأخرا عن حصول العلوم والنبوغ فيها، بل حققن تمكين المرأة من ولوج ميادين العلوم الإسلامية الهندية، وكان لهن دور بارز في المشاركة السياسية أيضا.

كما اشتهرت رضية بنت الأيلتمش"جاند سلطان الأحمد نغرية" نواب سلطان جهان بيغم وغيرهن في الحكومة والسياسة، ونواب زيب النساء بيغم، ونواب شاهجهان بيغم ملكة بوفال، وجانان بيغم، وجهان آراء بيغم وغيرهن برعن في الشعر والأدب

نظرة خاطفة على الجزء الثامن :

إن نظرة خاطفة على الجزء الثامن الذي يشتمل على تراجم معاصري المؤلف يوضح أنه قد أورد ست ترجمات للنساء فقط، والتاريخ عبارة عن الأخبار والروايات التي تعتمد على الشهادات والوقائع، لا على القوة المخيلة ولا على قدرته البيانية، بينما قد كانت بدأت النهضة النسائية الحديثة في زمن المؤلف وأقبلت الفتيات على التحصيل العلمي العالي وعلى منافسة الرجل في ميادين الحياة المختلفة، وقد قامت جامعات وأسست كليات عديدة للبنات وللنساء، يتعلمن فيها ويتخرجن منها، وهكذا لم يذكر المؤلف المرأة الشهيرة" بيغم حضرة محل" التي كانت بطل الحرية في كفاح

تحرير الهند في سنة ١٨٥٧م وهكذا لم يعتن بذكر أم محمد على جوهر التي كانت امرأة جريئة عرفت بلقب"بي أمان" وكان اسمها" آبادي بيغم" إنها قد كانت في عام (١٩٢٤م) لعبت دورا نشطا في زمن الجهود التي بذلت لاستقلال الهند وكانت تشجع ابنيه الشيخ محمد علي جوهر، والشيخ شوكت علي على مواجهة الإنكليز لتحرير الهند وعلى حماية الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي، وأنها كانت تطوف بلاد الهند، وأن شعرها الشهير كانت تتداول ألسنة الناس:

بولي أمان محمد على كي ° جان بيتا خلافت به ديدو

قد قالت أم محمد علي ياولدي: جد بنفسك على الخلافة

وكذلك لم تسعد ترجمة النواب الأمير سكندر بيغم المتوفية١٨٦٨م بذكرها في نزهة الخواطر" إنها قد تولت زمام الحكم في ولاية بوفال وقد بلغت إمارة بوفال أوج رقيها وذروة ازدهارها إبان عهد الأميرة النواب سكندر بيغم، فيما بين سنتي ١٨٤٤_١٨٦٨م، وسكندر بيغم قد اكتسبت سمعة عريضة في الهند.

إن الشيخ يتفوق على مؤلفي الهند بهذه الصفة ولم يستوعب النساء في كتابه الموسوعي، ولكنه أينما يأتي بترجمة امرأة فيذكرها بكل احترام وشرف كما يذكر الملكة رضية بنت الأيلتمش بالألفاظ التالية:

" الملكة الفاضلة رضية بنت شمس الدين الأيلتمش رضية الدنيا والدين ملكة الهند اتفق الناس عليها بعد أخيها ركن الدين بن الأيلتمش سنة أربع وثلاثين وست مائة، فاستقلت بالملك أربع سنين، وكانت عادلة فاضلة(٤)

ويأتي بترجمة صالحة بنت عناية رسول بالعبارة التالية:" المرأة الفاضلة العفيفة الصالحة بنت عناية رسول بن القاضي علي أكبر العباسي الجرياكوتي إحدى الصالحات القانتات.

ويذكر ملكة بوفال بهذه الألفاظ:" الملكة الفاضلة نواب سلطان جهان بيغم بنت شاه جهان بيغم بنت سكندر بيغم ملكة بوفال المحمية من مشاهير الهند(٥) ويكتب ترجمة شمس النساء بهذه العبارة:" السيدة الفاضلة

شمس النساء بنت الفاضل الكبير السيد الأمير حسن المحدث سهسواني إحدى الصالحات القانتات.(٦)

دراسة تحليلية لتراجم الكتاب:

ولا شك أن الشيخ عبد الحي الحسني رحمه الله تعالى جاء بتراجم النساء بصدق وأمانة ولم يبخس قيمتهن وقدرهن في كتابه، وإن اختصصن بمجال العلم والأدب والشعر أو بمجال السياسة أو بمجال الدين فيؤدي الأمانات إليهن بذكرهن في كتابه الكبير، ههنا ننقل نماذج من الكتاب:

يكتب عن جانان بيغم _" بنت الأمير الكبير عبد الرحيم بن بيرم خان خانان المشهور، وبلغت من العلم والكمال رتبة لم تصل إليها الرجال فضلا عن النساء، ولها تفسير القرآن الكريم وأبيات رائقة بالفارسية منها

قولها:

عاشق زخلق عشق تو بنهان جسان كند

بيدا است ازدو جشم ترش خون كريستن(٧)

ويذكر الشيخ جاند سلطان الأحمد نكرية التي كانت الأميرة القوية وقد دافعت عن بلادها بكل شهامة وجراءة، فكانت فقيدة المثال فيها، يقول الشيخ عنه: حملت أعباء السلطنة وقابلت الخطوب مقابلة جيدة واستقام أمرها مع طول مدتها"..... وجمع كثير من الأمراء مع عساكرهم فحاصروا القلعة ثم ضيقوا على أهلها فقامت تلك المرأة الوحيدة للدفاع، ودافعت عنها كل المدافعة حتى استيأس الأمراء الأكبرية عن فتحها، فاجتمعوا وشاوروا في ذلك ثم نقبوا حول القلعة في مواضع عديدة وأصلوا النقوب إلى جدران القلعة تحت الأرض بحيث ما ظهر الأمر على أحد ثم ملؤوها بالبارود وسدوا أفواه النقوب، ليوقدوا النار فيها في وقت واحد وترقبوا ذلك الوقت، فقام أحد منهم فأخبر أهل القلعة بذلك ترحما بهم، فقاموا وتجسسوا ثم حصروا وخلوا نقبين من البارود وملؤوها بالحجارة ثم اشتغلوا بالتجسس حتى حان الوقت الموعود وطار الجدار من جانب بقدر مائة ذراع في الطول وفر الناس من هيبتها، فلما سمعت جاند سلطان بتلك القصة

قامت متنقبة متدرعة وسلت السيف، ثم جاءت إلى الجدار وأمرت الجنود أن يرموا النشاب إلى العساكر الأكبرية لأن لا يقتحموا عليهم، وصارت تجتهد في ذلك كل الاجتهاد حتى استيأس الأمراء عن دخولهم القلعة من تلك الفتقة فرجعوا إلى منزلهم، وأما جان سلطان فإنها لم ترجع إلي منزلها حتى رفعت الجدار في تلك الليلة قدر مائة ذراع من طول وثلاثة أذرع من فوق، فلما رأى مراد جهادها في الدفاع مال إلى الصلح وأجمع الناس كلهم (٨)

وهنا تتجلى صفة المؤلف كمؤرخ بارع وأنه لا يملأ كتابه بذكر الأخبار الشائعة، فلا يقبل أخبارا غير موثوق بها بل يسجل حقيقة الأمر في واقعة جاند سلطان نغرية، يقول:" ولكن الدهر أبو العجائب هي التي دافعت عن بلادها وأجمع الناس على شهامتها وقتلت من أيدي أبناء الوطن وظن الناس أنها رغبت إلى سلطان الهند وحاش لله أن يصدر من مثلها ما يكون سببا لزوال الدولة، والقصة أن أمراء تلك الدولة خالفوا فيما بينهم وصاروا متفرقين على فرق عديدة وتفرقوا، ثم دعا أحدهم دانيال ابن أكبر شاه الدهلوي واستعان به على غيره واستفاد دانيال من ذلك الخلاف وقصد أحمد نكر، ثم أرسل أكبر شاه المذكور قائده البطل المشهور عبد الرحيم ابن بيرم خان مع عساكره ثم صار بنفسه إلى تلك البلاد فحاصر القلعة أسير، فاستيقنت جاند سلطان بزوال الدولة فدبرت أن تصالح أكبر شاه وتسلم إليه أحمد نكر ثم تهاجر إلى جنير_ بفتح الجيم _ وتنتهز الفرصة بها وظن الناس أنها دبرت المكيدة لزوال الدولة، فهجموا عليها وقتلوها سنة ست بعد الألف.(٩)

ويكتب عن نواب زيب النساء ويعترف المؤلف بفضلها ونبوغها في العلوم والشعر بكل صراحة، ولم يعتن بالخرافات التي شاعت حول ترجمتها في كتب تاريخية، بل منهج المؤلف كالمحقق الذي لا يقبل أخبارا غير موثوق بها، فإنه يأتي بروايات الصدق ولا يجمل رواية بأخبار غير صحيحة وهي كنحو التالي:

" الملكة الفاضلة زينب النساء بنت السلطان محي الدين أورنك زيب

عالمكير أكبر ملوك الهند وأكرمهم اجتمع عندها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع عند أحد وكانت شاعرة ساحرة تسخر الألباب وتفلق القلوب لا تضاهيها امرأة في الهند في جودة وسلامة الفكر ولطافة الطبع....." زيب التفاسير" فهو ترجمة التفسير الكبير للرازي بالفارسي نقله من الفارسية الشيخ صفي الدين الحلي الأربيلي ثم الكشميري بأمرها ولذلك سماه باسمها(٩)

ويذكر غلبدن بيغم بالألفاظ التالية: بنت السلطان ظهير الدين بابر بن عمر الكوركاني كانت فاضلة شاعرة عفيفة صاحبة العقل والرأي، لها"همايون نامة" كتاب بسيط في أخبار أبيها وصنوها همايون(١٠) وجاء المؤلف بترجمة ملكة الهند جهانكير بلقبها نور جهان يكتب العلامة عنها فيقول:

أراد (جهانكير) أن يتزوج بمهر النساء فأبت ثم رضيت فتزوج بها، فحببت إليه حتى ألقى بيدها زمام السلطة ولقبها نور جهان بيغم وأمرها أن تضرب الدراهم والدنانير باسمها، فضربت، ومنها هذاالبيت:

بحكم شاه جهانكير يافت صد زيور

بنام نور جهان بادشاه بيغم زر

ويستطرد قائلا:

كانت من خيار النساء حسنا وجمالا وعلما وعقلا، اخترعت أمورا كثيرة في الزي واللباس والحلي والأشياء العطرة، وكانت ماهرة بالرمي والفروسية والسياسة والتدبير (١١)

إن العلامة السيد عبد الحي الحسني، ثبت تفوقه على معاصريه بسعيه المشكور، وحصلت له مكانة مرموقة في تسجيل تراجم أعيان الهند، فإنه يمتاز مع سلامة قلبه برحابة صدره لا يتعصب لأحد، بل يأتي بالشهادة على وجهها ولا يحط شأن المترجم ولا يبخس نصيبه، يوجد في" نزهة الخواطر" وصفه الفائق، وهو أمانة النقل والتحري في الرواية والصدق والعدل والاعتراف بما لبعضهم على بعض من الفضل، والمؤلف أسبق على أسلافه وأقرانه بهذه الصفة البارزة، إنه نقل عشرين ترجمة من الفاضلات الهنديات، وبالعكس لا نجد عند المؤلفين المشاهير هذا المقدار في تسجيل

السير والتراجم كما يخلو كتابان شهيران" مآثر الكرام، وسبحة المرجان في آثار هندوستان" لغلام علي البلغرامي من فاضلات الهند، السيد غلام بن نوح الحسيني الواسطي البلغرامي(م١٢٠٠هـ) الذي يعد مؤرخا كبيرا للثقافة العربية والفارسية في الهند الإسلامية. له كتب ممتعة مقبولة منها أشهر مصنفاته " سبحة المرجان"، هو الكتاب يشمل على سير وتراجم المشايخ والعلماء والشعراء في شبه القارة الهندية، وذكر فيه خمساوأربعين ترجمة، وكتابه الآخر" مآثر الكرام في تاريخ بلغرام"، وهو كتاب مفيد جدا في أخبار المشايخ والعلماء، إنه يأتي فيه بثلاث وخمسين ومأة ترجمة، منها ثمانون ترجمة للصوفية وثلاث وسبعون للعلماء والفضلاء، فيأتي بترجمة واحدة من النساء في تذكرة الصوفية وهي" بي بي خرد" الأول الذكر كتابه اللغة العربية والثاني باللغة الفارسية، وهكذا لم تسعد من فاضلات الهند بالتعريف في أبجد العلوم للنواب صديق حسن خان، لأن العلامة يأتي بتسع وتسعين ترجمة من علماء الهند في كتابه الجليل، ولم يترجم من فاضلات الهند إلا امرأة واحدة وهي قرينة النواب شاه جهان بيغم وعلى هذا المنوال لم يترجم رحمن على فاضلة هندية في كتابة" تذكرة علماء الهند" محمد عبد الشكوربن حكيم شير علي الصديقي المعروف برحمن علي (م١٩٠٧م) وأما مصنفاته فهو في علوم الطب والسير والتاريخ، وأشهرها وأحسنها" تذكرة علماء الهند" بالفارسية في المجلد الواحد، وهو يحتوي على تسع وأربعين وست مأة ترجمة من مشاهير الهند، فإن كتابه أيضا يخلو من ترجمة النساء، ومع أننا نلاحظ في حديقة نزهة الخواطر أحوال عقائل النساء مع الرجال النابغين على حد سواء، والمراجع التي جاء بها المؤلف في تذكرة النساء وهي كلها باللغة الفارسية. ومن ميزات الكتاب: أنه باللغة العربية.وهي اللغة التي ضمن الله لها بالخلودوالبقاء على أصالتها بفضل كتابه الكريم، وهي اللغة التي لغة التفاهم العالمية، فصار مؤلف العلامة عبد الحي الحسني أوفر وسيلة لتقديم مجهودات علماء الهند إلى الناطقين بلغة الضاد والمطلعين على أسرار العربية .

خلف العلماء والمؤلفون مكتبات ضخمة للاطلاع على سير وتراجم الرجال في الهند، ولكن جلها أو كلها في اللغة الفارسية، ومملوءة بالخوارق والكرامات، يقول العلامة في هذاالأمر:" وإن ذكر المؤرخون منهم ترجموه ترجمة مغسولة عن الفائدة عاطلة عن بعض ما يستحقه، ليس فيها ذكر مولده ولا وفاته، ولا شئ من مسموعاته ولا مقروءاته(١٢)

إن العلامة عبد الحي الحسني أسبق على مؤلفي الهند في ترتيب مؤلفه حسب المنهج التاريخي، قد بذل مؤلفون كثيرون جهودهم الغالية في عصرنا هذا في تدوين مؤلفاتهم التي اشتملت على أحوال النساء الهنديات، لكن أنى يدرك الظالع شأو الضليع وجديرينا أن نقرأ هذا البيت:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله
إن الـــزمـــان لمثله لبخـيل

---

١) محمد علي: ذاتي دائري كي جند أوراق أز مولانا عبد الماجد دريابادي، شائع كرده صدق فاؤنديشن لكهنؤ، سنة ٢٠٠٤م. .
٢) ينظر تاج الإقبال٢/٦ينظر: مذكرات رحلة حج الأميرة بوفال، سكندر بيغم لإبراهيم بن محمد البطشان وثمامة فيصل، ص٩، ١٠.
٣) نزهة الخواطر، ١/١٧٠.
٤) نزهة الخواطر٨/٢١١.
٥) نزهة الخواطر، ٨/١٨٧.
٦) نزهة الخواطر٨/٢٠٠.
٧) أيضا، ٥/١٣٥.
٨) أيضا
٩) نزهة الخواطر،ص/٩٩، ١٠٠.
١٠) أيضا، ٣٤٥، ٣٤٤
١١) نزهةالخواطرج/١

الاستهانة بقيمة الكلمة المقروءة والمسموعة مصدر البلاء

الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

هيأت وسائل الإعلام المتوفرة اليوم، وتسهيلات الطباعة والنشر، وانتشار دور التوزيع المدعمة بالوسائل المادية ومواقع التواصل الاجتماعي ، فرصة الكتابة، لكل من يحمل القلم ويقدر على التعبير، كما هيأت الحياة الشاغبة وتكاليفها الباهظة التي تجبر الإنسان على العمل الشاق، أكثر من طاقته، وزادت همومه وآلامه، بارتفاع مستوى الحياة، إقبالاً على مواد القراءة من كل نوع بصرف الاهتمام عن مسائل الحياة المضنية، وشغل الذهن عن مشاكل الكفاح للحياة، فتتسرب مواد القراءة من كل رطب ويابس وجد وفكاهة، ودين ودنيا، وعلم وعاطفة، وشعور وإحساس، ولامبالاة، وإهمال للمسئوليات، إلى كل منزل، وتصبح في متناول يد كل شخص.

وللشغف بالقراءة، وتوفير فرص للكتابة، نشأت مكتبات ذات شخصية مميزة، ومكتبات كمجمعات تجمع ما هو للدين، وما هو للدنيا، وما يبني الفكر وما يهدمه، وما يبني القيم والأخلاق، وما يبعث الإنسان على التهور، والإرهاب والسعادة على حساب شقاء غيره من الإنسان، كما قامت مكتبات على الشوارع، وأرصفة محطات القطار، ومواقف الأوتوبيسات، وحقائب الباعة المتجولين الذين يحملون الكتب الشهرية، والمجلات والدوريات، والروايات المثيرة التي تخدر وتسمم الأذهان، وتثير الغرائز وتصدم الذهن بأفكار وآراء.

وقد عمت عادة القراءة من كل نوع بحيث إن بعض النفوس لا تستعد للنوم إلا بعد قراءة شيئ مثير أو ما يسلي الذهن، وبلغ التطرف في هذا الأمر إلى أن بعض الناس يحملون بعض الكتب المثيرة إلى الحمام، أما القراءة في السفر في الأوتوبيس والترام والقطار والطائرة فهي مهيأة، وشائعة، وهي أهم وسيلة لقضاء الوقت، بل وسيلة للاستجمام الذهني.

وبازدياد الشغف بالقراءة تحتاج دور الطباعة والنشر التي يكسب منافع مادية هائلة بهذا المصدر للرخاء إلى كتاب طامحين وطامعين، وأحياناً تجبر

الكتاب الذين نالوا الشهرة والبراعة بكتاباتهم، على الكتابة على مواضيع مثيرة، تجذب القلوب، وتهتم بالكتب التي تنفق في السوق أكثر مما تهتم بالكتب القيمة التي تفيد علمياً أو فكرياً أو دينياً، لأن الكتاب لديها بضاعة، وسلعة، ومقصودها الأول الكسب المادي، فينحرف كثير من الكتاب المفكرين إلى اختيار موضوعات تجذب المشتري.

فالكتاب اليوم أو الصحيفة، أهم مصدر لكسب الرخاء المادي، ولم يعد وسيلة للإعلام أو التعليم، أو التربية، فإذا أجرى إحصاء لمعرفة نوايا الكتاب الحقيقية، هل هي فكرية وعلمية، أم هي مادية وتجارية، لأدرجت أسماء كثير من كتابنا اليوم في قائمة المتكسبين والمحترفين.

ويظهر ذلك بوضوح بالمقارنة بين مقالات، وتعليقات في الصحف وبين اتجاهات ومواقف في الكتب، فإنها تتأرجح وتتمايل حسب الظروف والفرص، كالزعماء السياسيين اليوم الذين يغيرون أحزابهم وولاءاتهم وآرائهم ونظرياتهم حسب الإمكانيات، والدوافع المادية والنفسية، أما المبادئ والأصول فهي الضحية الكبرى في هذا العصر.

كان المثقفون في الماضي يضحون بحياتهم من أجل مبادئهم وأصولهم الفكرية، وقد أحرق كثير من القادة والزعماء، وأتباعهم من عامة الناس أحياء، وواجه كثير منهم الشنق، وكان التذبذب والتأرجح في الأفكار عاراً كبيراً، ولم يكن هناك أي ارتباط في الماضي بين الفكر والذهن، وبين البطن والشهوة، فكان المفكر والقائد خارجاً عن سلطان الهوى، والبطن، لا يغريه مال، ولا يشيه بطش ولا سطوة.

ولكن المادة طغت على كل مجال من مجالات الحياة اليوم، وأصبحت المصلحة السياسية والفردية منطلق كل عمل وقول، كما طغت الأنانيات على قول الحق، ولذلك رغم توفر هذه الوسائل للإعلام يزداد حجم الجهالة الفكرية، وتتسع المتاهات الذهنية، وحيرة الإنسان.

وتزداد دهشة الإنسان إذا وجد كاتباً واحداً ينقلب ظهراً لبطن، ويحاول أن يجعل الحقائق أباطيل، والأباطيل حقائق، ولا يستقر بحال من الأحوال، وكم يحار الإنسان إذا وجد كل شخص متهما بخيانة وتلفيق كما يجد في الانتخابات العامة لأن كل من يخوض الانتخاب يكشف

عن سوءاته من قبل منافسه الآخر، فيصبح كل منافس متهماً، ولا يصل الناخب إلى نتيجة إلا أن يقول: كلكم خونة.

أضيف إلى هذه وسائل التعبير عن المختلجات والأحاسيس، وسيلة الانترنت التي تتيح لكل من يرغب في إبداء ما في ذهنه من فكر أو خيال، أو رأي، فتتاح لكل شخص بهذه الوسيلة فرصة للتعبير، وتحدث بسبب هذه الفرص المتاحة للتعبير حوادث عندما تجرح المواد المعبر عنها في الانترنت، مشاعر شخص، أو تنافي فكراً سياسياً معيناً، أو عقيدة دينية، أو قومية أو وطنية، وأصبحت هذه الوسائل للتعبير مصدر صراعات؛ تؤدي إلى اشتباكات، وأحياناً إلى اضطرابات.

أصبحت الكتابة اليوم مهنة، بينما كانت وظيفة ذات مسئولية، وتجردت عن كل مبدأ، وعن كل قيمة، ولذلك صارت وسيلة للشرود الفكري والميوعة الذهنية، وثورة عقلية، وهو اتجاه خطير للإنسانية اليوم، لأن الكتاب أو الصحيفة لا تقل في التأثير عن السلاح الفتاك لأنها تصنع الذهن، والذهن هو الذي يوجه الإنسان في استخدام السلاح فإذا لم تكن لها مبادئ وأهداف نبيلة وتوجيه سليم لقادت الإنسان اليوم إلى تناحر، وتضارب، وتكالب كما تظهر آثاره.

وقد كانت مسألة الكتابة والخطابة، أكثر خطورة للمسلم الذي يؤمن بالآخرة والحساب، يوم تتكلم الأيدي وتشهد الأرجل وتنطق الألسن، فيثاب المسلم أو يعاقب على كل كلمة تفوه بها، أو كتبتها ريشة قلمه، فليكتب من يكتب وليتكلم من يتكلم بشعور من مسئوليته فإن ما يتقاضاه من نقود، مهما تكاثرت لا تعصمه من أمر الله.

لقد أنشأ كثير من الكتاب ثروات هائلة بكتاباتهم حسب الذوق العام وإثارة النفوس وجعلوا أفكارهم سلعة تباع، وهم يتكاثرون بها، ولكن لا تفوتهم حقيقة بأن ما يكسبون تسجل وتقيد، وجهاز هذا التسجيل أدق من المخابرات الدنيوية التي يخشونها، جهاز لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وجعلها حاضراً.

من كنوز القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم

للعلامة السيد سليمان الندوي

تفسير القرآن بالقرآن (يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، النحل)

جمع وترتيب: محمد فرمان الندوي

سورة يوسف: موضوع السورة: تمثيل للنبي (محمد رسول الله ﷺ) وتسكين قلبه.

ولقد مكنا ليوسف في الارض:

قال الله تعالى: وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً، كَذَلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (غافر: ٣٤)

يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار:

قال الله تعالى: وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ، أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ، وَقَدْ جَآءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ، وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ، إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (غافر: ٢٨)

إن الحكم إلا لله، امر الا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم:

قال الله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً، فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ، ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ، وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (الروم:٣٠)

ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون:

قال الله تعالى: وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ، فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن، وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ، بِئْسَ ٱلشَّرَابُ، وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً (الكهف: ٢٩)

إن ربي لطيف لما يشاء:

اللطف أن يدبر الأمر، بحيث لا يحس به أحد، كذلك كان أمر يوسف، حتى ملك الخزائن وأتاه إخوانه طائعين.

وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين:

ذكرت هذه القصة تسكيناً للرسول صلى الله عليه وسلم.

حتى إذا استيأس الرسل، وظنوا انهم قد كذبوا:

قال الله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ، وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم، مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ، مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ، أَلا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ (البقرة: ٢١٤)

سورة الرعد

موضوع السورة: إثبات الكفر بالله تعالى وبالرسول، والكفر بالرسول كفر بالله تعالى.

وإن تعجب فعجب قولهم:

قال العلامة الندوي: إنكار البعث كفر بالله، لأنه يستلزم القول بأن الله ليس بقادر عليه.

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه:

جوابه في الرعد، رقم الآية (٣٨)، قال الله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

له معقبات من بين يديه ومن خلفه:

قال الله تعالى: وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (الأنفال: ٥٠)

ولله يسجد من في السماوات والأرض:

قال الله تعالى: أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ،

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلائِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (النحل: ٤٨- ٤٩)

جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم:

قال الله تعالى: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَآئِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ، وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (غافر: ٨- ٩)

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه. قل: إن الله يضل من يشاء:

قال العلامة: ولا يطمئن بالآيات.

سورة إبراهيم

موضوع السورة: الفوز لدعوة الأنبياء في الدنيا والآخرة.

وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه: أي ببيان قومه.

قالوا ما انتم إلا بشر مثلنا، تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا، فأتونا بسلطان مبين:

قال العلامة: جوابهم يدل على أنهم لم يشكوا في الله، ولكن في رسلهم.

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا:

قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً، وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ، قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ ٱلنَّارِ، وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (البقرة: ١٢٦)

سورة الحجر

موضوع السورة: هلاك المنكرين

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين.

قال العلامة: التقدم والتأخر في الموت أو التمهل.

نبئ عبادي إني انا الغفور الرحيم:

قال العلامة: والقصة تدل على أنه تعالى غفور رحيم وعذابه أليم.

وإن الساعة لآتية: قال العلامة: فإن الله يجزيهم.

كما انزلنا على المقتسمين.

قال العلامة: المقتسمين الذين قطعوا أحكام الله، فقبلوا ما قبلته هواهم، وأنكروا ما أنكرته، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

سورة النحل

اتى امر الله فلا تستعجلوه:

قال العلامة: المراد ظهور أمر الله، وهو الإسلام أشباه التوحيد والإيمان.

خلق السماوات والارض بالحق:

الدلائل على التوحيد- قال الله تعالى: إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ، رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ، إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ، لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، يُحْيِى وَيُمِيتُ، رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَآئِكُمُ ٱلأَوَّلِينَ (الدخان: ٧- ٩)

وعلى الله قصد السبيل:

قال العلامة: المعنى عندي أنه لما بين أسباب راحتكم في الدنيا، بيّن أسباب رشدكم.

هو الذي انزل من السماء ماء: وهذه أسباب الرشد ودلائله.

فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة، وهم مستكبرون:

قال العلامة: عدم الإيمان بالآخرة ينكره القلوب، ويحدث الاستكبار. والآخرة هي الساعة والجزاء.

قالوا اساطير الاولين: قال العلامة: وإن أساطير الأولين تثبت الجزاء.

ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة:

قال الله تعالى: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (العنكبوت: ١٣)

ثم يوم القيامة يخزيهم:

قال الله تعالى: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (آل عمران: ١٩٤)

ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين: أي جزاء السوء.

وكذلك يجزي الله المتقين: أي جزاء الخير.

فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون: انتهى ذكر الساعة.

وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه: رد شبههم على التوحيد.

فمنهم من هدى الله: إن الله لا يكره الناس على الهدى.

ومنهم من حقت عليهم الضلالة: حققت عليهم الضلالة بسبب التكذيب.

واقسموا بالله جهد إيمانهم: لا يبعث الله من يموت: رد الشبه في الساعة.

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا:

المهاجرون إلى الحبشة الذين فروا بدينهم فأفلحوا.

وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس: التبيين هو الشرح بدليل يتفكرون.

او لم يروا إلى ما خلق الله من شيئ يتفيأ ظلاله:

قال الله تعالى: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ (الرعد:١٥)

والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها: إنه عندي تمثيل للتبيين.

ومن ثمرات النخيل والاعناب: تمثيل آخر.

والله خلقكم ثم يتوفاكم، ومنكم من يرد إلى ارذل العمر: تمثيل آخر.

والله فضل بعضكم على بعض: تمثيل آخر.

فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم، فهم فيه سواء:

تدل على التسوية بين العبد ومالكه.

ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء: مثال الإخبار.

وضرب الله مثلا رجلين: مثال آخر له.

والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا: البديهيات والوجدانيات.

الم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء: النظريات.

ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها:

قال تعالى: لاَ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلأَيْمَانَ. فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ، وَٱحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ، كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (المائدة:٨٩)

فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم: رد شبههم في القرآن.

وإذا بدلنا آية مكان آية:

هو نسخ بعض أحكام التوراة مما يدل عليه الآيات الآتية في أواخر السورة.

ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر:

قال الله تعالى: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ ٱلإِنْسِ وَٱلْجِنِّ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً، وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ، فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (الأنعام: ١١٢)

إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم: الهداية تأتي بعد الإيمان.

من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكره:

حكم كفر المضطر الذي لم يهاجر ولم يفر بدينه.

وان الله لا يهدي القوم الكافرين: لا يهدي الكافر.

ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا: مغفرة كفر المضطرين.

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة:

هي أيلة. حكم الذين يضطرون الناس إلى الكفر، ويكفرون رضاً بالكفر.

فأذاقها الله لباس الجوع: ضعف الجوع الذي يشمل الجسد كله، فاللباس.

واشكروا نعمة الله: شكر نعمة الله أكل حلاله وعدم تحريمه.

وما اهل لغير الله به: قرابين الكفر.

ولا تقولوا لما تصف السنتكم:

الجواب عن نسخ التوراة. قال الله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً، قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ. وَمَا ظَنُّ

ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ (يونس: ٥٩- ٦٠)

ثم إن ربك الذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا:

قال الله تعالى: إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ، فَأُوْلَـٰئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (النساء:١٧)

وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين:

قال تعالى: وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمُ ٱلأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ. ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ. وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ. وَٱلَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ. رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّالِحِينَ. وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلآخِرِينَ. وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ. وَٱغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ. وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ. إِلاَّ مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. (الشعراء : ٦٩-٨٩)

ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا:

قال تعالى: وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً، وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (البقرة:١٣٥)

وقال: وَجَاهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَى وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (الحج:٧٨)

وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به: هو المؤمن الذي لم يظهر إلى الكفر وقوي على المعاقبة.

انتهت سورة النحل.

إلى رحمة الله تعالى

١- فضيلة الشيخ السيد نفيس أكبر أويس في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

فوجئت أسرة المدارس الإسلامية في الهند بنبأ وفاة فضيلة الشيخ السيد نفيس أكبر أويس شيخ الحديث في الجامعة العربية بقرية (هاتوره) بمديرية باندە ، بولاية أترابرديش الهند.، وكان قد أصيب بوعكة منذ أيام ، فاستجاب خلالها نداء ربه عن عمر يناهز ٨٦/ عاماً . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وذلك يوم الاثنين ١٢/من شهر ذى القعدة لعام ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠١٤/٩/٨م ، كان الراحل الكريم من جيل العلماء السابقين ممن أكرمهم الله تعالى بالعلم والدين، ووفقهم لتعليم أبناء المسلمين وتربيتهم في مدارس الهند الإسلامية ، وكان زميل فضيلة الشيخ العالم الرباني المقرئ صديق أحمد الباندوي في تلقي العلم وصناعة تربية الجيل المسلم ، ومن تلاميذ عالم الهند الكبيرالعلامة المحدث شيخ الإسلام حسين أحمدالمدني (رحمه الله تعالى) قام الفقيد بتدريس الحديث الشريف و العلوم الإسلامية بالجامعة العربية التي أنشأها الشيخ الكبير المقرئ صديق أحمد الباندوي رحمه الله تعالى ، واستمر على وظيفة التعليم والتربية وتخريج أجيال من العلماء إلى مدة لم تكن قصيرة ، وبذلك عاش بين أوساط العلم والدين مكرماً مبجلاً .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وأنعم عليه بالمغفرة وقبول صالح الأعمال ، وإسكانه في جناتٍ عالية ، وقيض له خلفاً صالحاً يشغل مكانه في العلم والدين ، والله ولي المتقين.

٢- فضيلة الشيخ عبدالحي الفاروقي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة العالم الجليل فضيلة الشيخ عبدالحي الفاروقي ، أحد أعضاء الأسرة الفاروقية التي كان يتزعمها إمام أهل السنة العلامة عبدالشكور الفاروقي في مدينة لكهنؤ ، وقد واجه علماء الشيعة برد معتقداتهم بقلمه ولسانه ، وعرف بمواقفه الدينية في هذا المجال و بتوجيه الدعوة إلى أهل السنة والجماعة في العالم الإسلامي كله ، استأثرت رحمة الله تعالى بالشيخ عبدالحي الفاروقي حفيد إمام أهل السنة في اليوم الثاني من شهر سبتمبر لعام ٢٠١٤م الموافق السادس من شهر ذى القعده ١٤٣٥ هـ في مقره بمدينة دلهي ، الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الراحل الكريم أستاذاً في جامعة همدرد في دلهي حيث كان يعمل في مشروع الطب القديم ,للبحث والتحقيق في مجال الطب والعلاج , فاستطاع أن يقوم بتدوين متون كتاب الشيخ الرئيس بوعلي سينا(القانون في الطب) ومن خلال هذا العمل التحقيقي اعترفت الحكومة الهندية بهذا المعهد الطبي وأقسامه المختلفة , ومنحته درجة الجامعة رسمياً ,وظل الشيخ الفاروقي قائماً بمنصب الأستاذ للقسم الإسلامي في الجامعة ,ثم أصبح رئيساً لهذاالقسم , كانت علاقته بفضيلة الشيخ الكبير السيد أسعد المدني , رحمه الله رئيس جمعية علماء الهند سابقاً , كما كانت له قرابة مع أسرة الشيخ المدني , وعلاقة مخلصة ببرامج وأعمال جمعية علماء الهند , ورجالها العاملين فيها , كما كان ذا اتصال خالص بالأسرة الحسنية في رائ بريلي ولكهنو وبالمفكر الإسلامي الكبير العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى.

من مآ ثره الجليلة تأليفه القيم حول حياة وإنجازات جده الكريم إمام أهل السنة العلامة عبدالشكور في مجلد ضخم يحتوي على ٩٠٠/صفحة ,وقد نال قبولا في جميع أوساط العلم والدين,ولدى علماء أهل السنة في كل مكان , كانت وفاته خسارة العلم والثقافة الإسلامية والأخلاق الفاضلة ,تغمده الله تعالى بواسع رحمته وأغدق عليه شآ بيب الرحمة والمغفرة , وأدخله في جنات النعيم ,وألهم أهله و ذويه الصبرالجميل.

٣ -الشيخ الدكتورمحمد رواس قلعجي إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء الآتية من الدول العربية الإسلامية بوفاة فضيلة الدكتور الشيخ محمد رواس قلعجي فجر يوم الأربعاء ٢٣/من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣من شهر أبريل ٢٠١٤م , وذلك عن عمر يناهز ٨٠/عاماً , فإنا لله وإنا إليه راجعون

كان الفقيد من كبار العلماء , جمع بين العلوم الإسلامية والثقافة العصرية , ووفق إلى بناء مكتبة إسلامية بمؤلفاته ودراساته العلمية والفقهية والتاريخية , كان له إسهام كبير في تدوين موسوعة الفقه الاسلامي التي أشرفت عليها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت , كما أنه شغل مناصب علمية عديدة كباحث علمي أكاديمي وأستاذ جامعي

لم نطلع على تاريخ وفاته إلامتأخراً بواسطة مجلة (أخبار المركز) للشيخ جمعة الماجد , دبي , كان من مواليد مدينة حلب في سوريا في عام

١٩٣٤م، وعاش حياة علمية ودعوية وعملية نموذجية للأجيال المسلمة الحاضرة والمستقبلية، جزاه الله خيراً عن خدماته وتغمده بواسع رحمته ومغفرته ، وأسكنه فسيح جناته .

٤- فضيلة الشيخ صفي الله القاسمي في ذمة الله تعالى

غادر إلى الآخرة فضيلة الشيخ صفي الله القاسمي ، أحد كبارعلماء شرقي ولاية أترابرديش، الهند.، وذلك في ٢٨من رمضان ١٤٣٥هـ /يوم الأحد الموافق ٢٦/يوليو٢٠١٤ . فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الراحل الكريم من جيل العلماء السابقين ممن تخرجوا في العلوم الإسلامية من الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند في أوائل الأربعينيات من القرن المنصرم واشتغل بتدريس العلوم الدينية وتربية الشباب من طلاب المدارس الإسلامية في الهند ، كان له تأثير في المجتمع الذي عاش فيه بين الخاصة و العامة ، وعُرف بعلمه الغزير وبميزة الإخلاص والورع ، إذ كان يمثل سيرة السلف الصالح من علماء الهند ، وكان زميلاً في الدراسة وتعلم العلوم والمعارف لفضيلة شقيقنا الأكبر الشيخ عزيزالرحمن الأعظمي رحمه الله تعالى، الذي عُرف كطبيب بارع في أوساط العلماء والجماهير ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأغدق عليه نعمة الغفران ودخول الجنات ، ورفع الله درجاتهما في أعلى عليين من عباده الصالحين ، والله هو السميع العليم .

٥- السيد أبوبكر الكندلوري إلى رحمة الله تعالى

السيد أبوبكر هو والد فضيلة الشيخ عبيد الله الندوي الكندلوري من جنوب الهند بولاية كرناتكا ، توفي يوم السبت في ٣ /من شهر أغسطس لعام ٢٠١٤م ، الموافق ٥/من شهر شوال لعام ١٤٣٥ هـ ، وكان بالغاً من العمر ٧٣/ عاماً ، كان الراحل الكريم من أصحاب الثقافة العصرية ومتصلباً في الدين والعقيدة ، أشار على نجله العزيز الشيخ عبيدالله الندوي بعد ما تخرج من جامعة ندوةالعلماء أن ينشئ مدارس دينية وعصرية جامعة للبنين والبنات ، فأجاب إلى ما أشار عليه ، ووفق إلى إنشاء مراكز عديدة لتعليم أبناء المسلمين ذكوراً وإناثاً ، وهو ناجح في عمله التعليمي والتربوي ، وقائم على الطريق الذي فتحه له والده الراحل الكريم ، جزاه الله تعالى عن صالح أعماله أحسن جزاء ، وتغمده بواسع رحمته ، و استبدل السيئات بالحسنات ، وجعل الجنة مثواه ، وألهم نجله العزيز وجميع أعضاء أسرته وأهله وذويه الصبرالجميل على المصاب .

٦- الشيخ سعيد الدين ، والد الشيخ صلاح الدين الندوي إلى رحمة الله تعالى

الشيخ سعيد الدين ، والد الشيخ صلاح الدين الندوي أحد أعضاء الجامعة الإسلامية ببلدة مظفر فور بمديرية أعظم كراه ، بولاية أترابراديش الهند ، كان الراحل الكريم من بلدة برتاب غراه ، بولاية أترابرديش الهند ،وكان شديد الحرص على تعليم أبنائه علوم الدين في جامعات الهند الكبرى ، فاستجاب الله دعاءه ومهد لهم الطريق نحو اكتساب العلم والدين وتحققت أمنيته ، في نجله العزيز الشيخ صلاح الدين الذي تخرج من دارالعلوم ندوة العلماء، ثم أصبح ضمن مدرسي الجامعة الإسلامية وموظفيها ، ونال مكانة لدى المحدث الجليل الدكتور تقي الدين الندوي مؤسس الجامعة ورئيسسها.

غادر إلى الله تعالى يوم السبت ٢٦/ من شهر شوال لعام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣/من شهر أغسطس عام ٢٠١٤ م عن عمرناهز ٧٦/عاماً ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفرله زلاته . وأسكنه فسح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

٧ -الدكتور كريم الدين الدهلوي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ الدكتور كريم الدين ، رئيس مدرسة حفظ القرآن في منطقة حوض راني بدهلي الجديدة ، وكان قد أصيب بمرض التنفس ، وكان يأخذ العلاج لدى الأطباء الإخصائيين ، ولكن الله تعالى كتب له أن يغادر إلى الآخرة في أحسن حال من الورع والصلاح وخدمة القرآن الكريم من خلال مدرسته ، قضى وقتاً طيباً في عمل يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكان اشتغاله بتحفيظ القرآن الكريم وتنظيم المدرسة على أساس خدمة الدين وتدريس كتاب الله تعالى وتوسعة نطاق حفظته في أنحاء الهند المختلفة ، جزاه الله خيراً كثيراً على ما وفق إليه من صالح الأعمال والبلاغ لرسالة القرآن إلى كثيرمن الناس .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفرله زلاته ، وأسكنه فسيح جناته، كانت وفاته في مقره بدهلي عن عمر بالغ ٦٦/ عاماً، خلف وراءه أسرة حافلة بالأهل والأولاد ، ألهمهم الله تعالى الصبر الجميل .

٨- الشيخ المقرئ محمدقاسم الأنصاري في ذمة الله تعالى

فوجئت أسرة ندوة العلماء بجميع معاهدها و كلياتها ، وإداراتها

المتعددة بنبأ وفاة العالم الجليل مقرئ القرآن الكريم وأحد كبار علماء التجويد في الهند ، فضيلة الشيخ المقري محمد قاسم الأنصاري الذي لبى نداء ربه الكريم بطريق مفاجئ ليلة السابع عشرمن شهر ذى القعدة لعام ١٤٣٥هـ الموافق ١٣/من شهر سبتمبر ٢٠١٤م في وطنه بوفال عاصمة الولاية المتوسطة للهند ، من غير مرض مسبق، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم الشيخ محمد قاسم من كبار علماء التجويد وقراءات القرآن الكريم ، وكانت له مواقف طيبة في قراءة القرآن الكريم بقراءاته العشرة، و افتتاحياته القرآنية للاجتماعات الدينية والمؤتمرات الإسلامية والمناسبات الاجتماعية ، وقد سجلت قراءته للقرآن الكريم مع تفسيره للداعية الاسلامي المعروف ومترجم القرآن الكريم إلى لغات هندية، الشيخ عبدالكريم باريخ ، فكان ذلك مدرسة قرآنية للناس جميعاً ، وفي أوساط الخاصة والعامة كلهمً ، كان عضواً للمجلس التنفيذي لندوة العلماء منذ مدة وكان يمثلها في الولاية الجنوبية ، مدراس ، (شنائي - باسمها الحديث) ويهتم بشؤن ندوة العلماء وإبلاغ رسالتها إلى أوساط المدارس والمعنيين بالتعليم والتربية في الهند الجنوبية بخاصة، كانت له علاقة وطيدة بسماحة الامام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (يرحمه الله تعالى) وخلفه سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وعلماء البلاد والمسؤلين عن المدارس الإسلامية فيها ، فكان قد نال إجازة التربية الدينية من سماحة الامام الندوي ، إنه شغل منصب الامام والداعية في المسجد الجامع الكبير في مدينة مدراس إلى مدة، وكان يعيش هناك مع العائلة ، الأأنه كان قد جاء إلى موطنه مدينة بوفال ، للحضور في إحدى المناسبات الاجتماعية لدى أقربائه ، اذ فوجئ بألم في صدره وحُمل إلى المستشفى للعلاج ، ولكنه لبى نداء ربه في الطريق قبل وصوله إلى المستشفى ، فكانت وفاته مبعث حزن وأسي بالغين للجميع ، وقد عقدت حفلة عزاء في ندوة العلماء برئاسة العلامة الشيخ السيد محمدالرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام ، تبادل فيها الناس التعازي وقاموا بالدعاء له بالرحمة والمغفرة من الله تعالى/تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفرله زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر

والسلوان . (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي - سورة الفجر: ٢٧-٣٠)

٩- الشيخ صباح الدين القاسمي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ صباح الدين القاسمي بن فضيلة الشيخ علاء الدين الندوي المونجيري رحمه الله تعالى ، بولاية بهار الهند ، هوشقيق الشيخ وقارالدين لطيفي الندوي ، الكبير ، بموطنه بيبرا لطيف بمديرية مونجير، عقب مرض خفيف كان مصاباً به منذ مدة قليلة ،

وذلك في ٣٠/من شهر أغسطس لعام ٢٠١٤م الموافق ٣/من شهرذي القعدة عام ١٤٣٥هـ . فإنالله وإنا إليه راجعون.

ونحن إذ نعزي الشيخ وقارالدين لطيفي الندوي أحد العاملين في مكتب هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، في دلهي ، ندعوالله سبحانه وتعالى أن يتغمد الراحل الكريم بواسع رحمته ، ويغفرله زلاته ، ويسكنه فسيح جناته ويلهم أهله وذويه الصبرالجميل .

١٠- السيدة والدة سعادة الشيخ أحمد الرومي إلى رحمةالله تعالى

(الملحق الديني بسفارة المملكة العربية السعودية ، بدلهي)

اطلعنا على وفاة السيدة والدة سعادة الشيخ أحمد الرومي ، الملحق الديني بسفارة المملكة العربية السعودية في دلهي الهند ، بشيئ من التأخير، استأثرت بها رحمة الله يوم الخميس ١٤/من شهر أغسطس لعام٢٠١٤م المصادف ١٧/من شهر شوال لعام ١٤٣٥هـ ، فإنالله وإنا إليه راجعون.

كانت الراحلة الكريمة من السيدات الصالحات في الوسط الذي كانت تعيش فيه وفي الأسرة التي كانت تربى فيها الأولاد ، فكانت في الواقع مدرسة يتعلم فيها الصغار وأعضاء الأسرة الآخرون ، ولاشك فإن سعادة الشيخ أحمد نموذج لتربيتها الدينية و دعائها المستجاب عند الله تعالى.

ونحن إذ نعزي الشيخ أحمد الرومي على هذا المصاب نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمدها بواسع رحمته ويغفرلها زلاتها ويسكنها فسيح جناته . ويلهم الجميع الصبرالجميل .

يقول الله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (آل عمران١٨٥)

●●